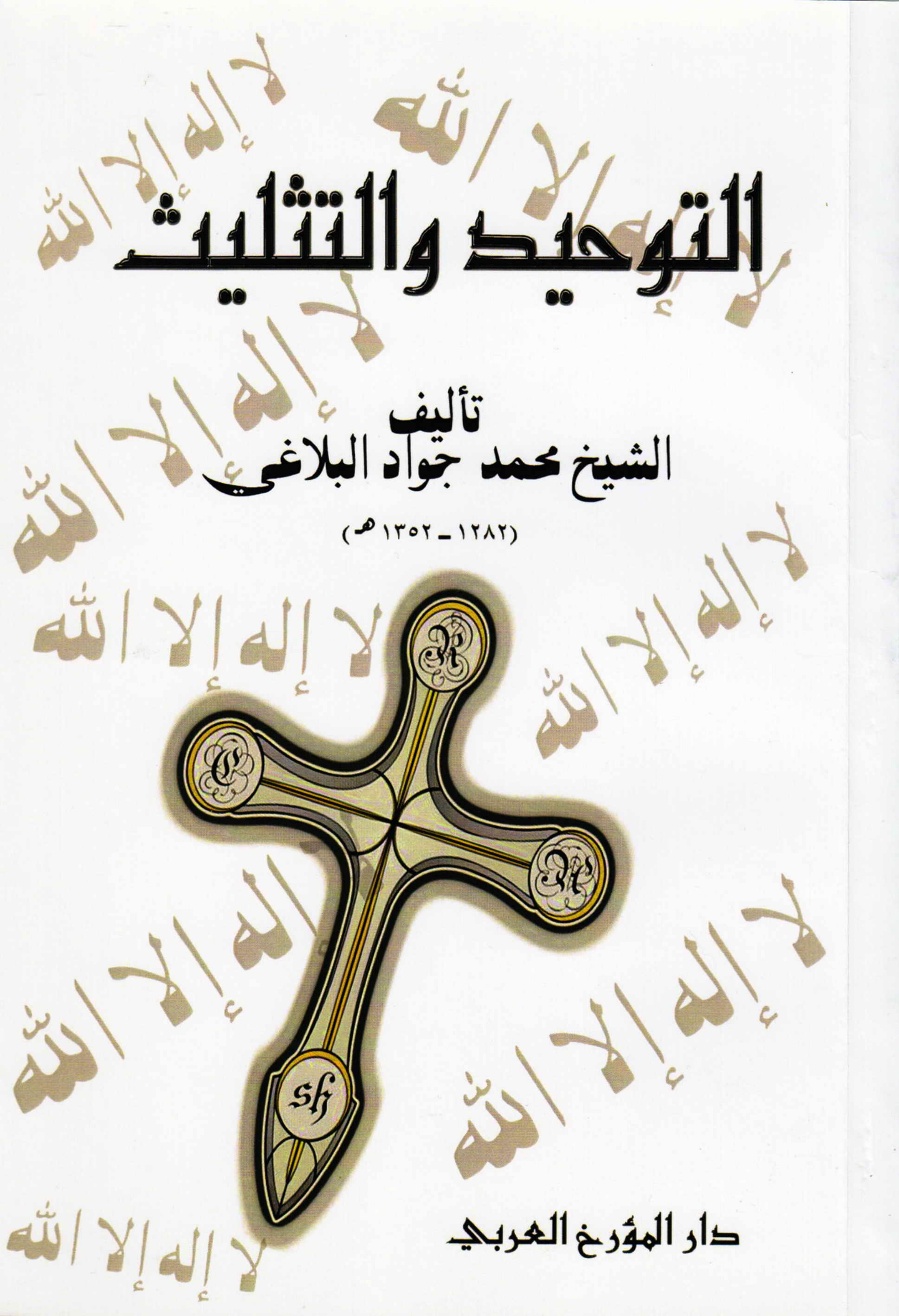


التوحيد والتثليث

تأليف

الشيخ محمد جواد البلاغي

(١٢٨٢ ـ ١٣٥٢ هـ)

دار المؤرخ العربي



تأليف

الشيخ محمد جواد البلاغي

(١٢٨٢-١٣٥٢هـ)

دار المؤرخ العربي

بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثانية

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

دار المؤرخ العربي

بيروت - ص.ب ١٢٤ / ٢٤ - تلكس ٤٠٥١٢ كمك - ت ٨٢٠٨٤٣



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله الطيّبين الطاهرين.

ترجمة المؤلف[1]

نسبه:

هو الشيخ محمد جواد بن حسن بن طالب بن عبّاس بن إبراهيم

(١) لمزيد الاطّلاع على ترجمته ـ قدّس سرّه ـ أنظر: أعيان الشيعة ـ للسيد محسن الأمين، الطبعة الحديثة ٢٥٥/٤، نقباء البشر في القرن الرابع عشر ـ لآقا بزرك الطهراني ـ ٣٢٣/١، شعراء الغريّ ـ لِعليّ الخاقاني ـ ٤٣٦/٢، الطليعة إلى شعراء الشيعة ـ للشيخ محمد السماوي ـ: ٦٥، الروض النضير ـ للشيخ جعفر النقدي ـ: ٣٠٤، الحصون المنيعة ـ للشيخ علي آل كاشف الغطاء ـ ١٨٦/٩، الكنى والألقاب ـ للشيخ عبّاس القمّي ـ ٨٣/٢ رقم ٥، معارف الرجال ـ للشيخ محمد حرز الدين ـ ١٩٦/١، ماضي النجف وحاضرها ـ للشيخ محمد باقر محبوبة ـ ٦١/٢، معجم رجال الفكر والأدب في النجف: ٧٢، علماء معاصرين: ١٦١، ريحانة الأدب ـ للشيخ محمد علي التبريزي ـ ١٧٩/١، الأعلام ـ للزركلي، الطبعة الحديثة ـ ٧٤/٦، معجم المؤلّفين ـ لكحّالة، الطبعة الحديثة ـ ١٦٣/٩، المستدرك على معجم المؤلّفين ـ لكحّالة أيضاً ـ: ٦٢٠، مقدّمة الطبعة الثانية من كتاب «الهدى» للمؤلف ـ للمحامي توفيق الفكيكي ـ: ١ ـ ٢٨، فهرست مؤلفين كتب جابي ـ لخانبابا مشار ـ ٤١٢/٢.

ابن حسين بن عبّاس بن حسن[2] بن عبّاس بن محمد علي بن محمد البلاغي النجفي الربعي[3].

مولده:

وُلد في النجف الأشرف سنة ١٢٨٢ هـ في بيت من أقدم بيوتاتها وأعرقها في العلم والفضل والأدب.

نشأته:

نشأ حيث وُلد، وأخذ المقدّمات عن أعلامها الأفاضل، ثم سافر إلى الكاظمية سنة ١٣٠٦ هـ وتزوج هناك من ابنة السيد موسى الجزائري الكاظمي.

عاد إلى النجف الأشرف سنة ١٣١٢ هـ فحضر على الشيخ محمد طه نجف والشيخ آغا رضا الهمداني والشيخ الآخوند محمد كاظم الخراساني والسيد محمد الهندي.

هاجر إلى سامرّاء سنة ١٣٢٦ هـ فحضر على الميرزا محمد تقي الشيرازي ـ زعيم الثورة العراقية ـ عشر سنين، وألّف هناك عدّة كتب، وغادرها ـ عند احتلالها من قبل الجيش الإنكليزي ـ إلى الكاظمية فمكث بها سنتين مؤازراً للعلماء في الدعاية للثورة ومحرّضاً لهم على طلب الاستقلال.

---

(٢) صاحب كتاب «تنقيح المقال» في الأصول والرجال. [الذريعة ٤/٤٦٦ رقم ٢٠٦٩].

(٣) نسبةً إلى قبيلة ربيعة المشهورة.

ثم عاد إلى النجف الأشرف وواصل نشاطه في التأليف، فكان من أُولئك النَّدرة الأفذاذ الَّذين أوقفوا حياتهم وكرّسوا أوقاتهم لخدمة الدين والحقيقة، فلم يُرَ إلاّ وهو يجيب عن سؤال، أو يحرّر رسالة يكشف فيها ما التبس على المرسل من شكّ، أو يكتب في أحد مؤلفاته.

وقد وقف قبال النصارى وأمام تيّار الغرب الجارف، فمثّل لهم سموّ الإسلام على جميع الملل والأديان حتى أصبح له الشأن العظيم والمكانة المرموقة بين علماء النصارى وفضلائها.

كما تصدّى للفرق المنحرفة الهدّامة الأُخرى ـ كالبابية والقاديانية وغيرها ـ فكتب في ردّهم ودحض شبهاتهم عدّة رسائل.

وقد كان من خلوص النيّة وإخلاص العمل بمكان حتى أنّه كان لا يرضى أن يوضع اسمه على تآليفه عند طبعها، وكان يقول: «إنّي لا أقصد إلاّ الدفاع عن الحقّ، لا فرق عندي بين أن يكون بآسمي أو آسم غيري».

ومع كل ذلك أصبح اسمه ناراً على علم، وبلغت شهرته أقاصي البلاد، وذلك لما عالجه من المعضلات العلمية والمناقشات الدينية، حتى أنّ أعلام أُوربا كانوا يفزعون إليه في المسائل العويصة، كما ترجمت بعض مؤلفاته إلى الإنكليزية للاستفادة من مضامينها الراقية.

كان يجيد اللغات العبرانية والفارسية والإنكليزية ـ بالإضافة إلى لغته العربية ـ ولذلك برع في الردّ على أهل الكتاب ودحض أباطيلهم وكشف خفايا دسائسهم.

وكان مع عظيم مكانته في العلم وتفقّهه في الدين أديباً كبيراً وشاعراً مبدعاً، له نظم رائق سلس متين أكثره في مدح أهل البيت عليهم السلام ورثائهم وبعضه في الردود الدينية، وقد أورد السيد الأمين ـ قدّس سرّه ـ نماذج منه في ترجمة المؤلف من كتابه «أعيان الشيعة».

كما كان متـواضعاً للغاية، يقضي حاجاته بنفسه، ويختلف إلى الأسواق بشخصه لابتياع ما يلزمه.

وكـان يقيم صلاة الجماعة في المسجد القريب من داره فيأتمّ به أفاضل الناس وخيارهم، وبعد الفراغ من الصلاة كان يدرّس كتابه «آلاء الرحمن».

ومن كانت هذه صفاته فجدير بمتخصّصينا أن يقوموا بدراسة هذه الشخصية الجليلة وآثارها القيّمة، فهو أحد نماذج السلف، التي ندر وجودها في هذا الزمن، فهو بحقّ من مشاهير علماء الإمامية، علاّمة جليل، ومجاهد كبير، ومؤلف مكثر خبير.

وفاته ومدفنه:

توفّي ـ رحمـه الله ـ ليلة الاثنـين٢٢ شعبان ١٣٥٢ هـ فاجتمعت النجف كلّها إلى بيته وشيّع تشييعاً يليق بمقامه، ودفن في الحجرة الثالثة الجنوبية من طرف مغرب الصحن الشريف لمرقد أمير المؤمنين الإمام عليّ ابن أبي طالب عليه السلام، ومن العجيب أنّ مطلع إحدى قصائده في مدح الإمام الحجّة المنتظر عليه السلام، في ذكرى مولده السعيد المبارك، قوله:

حَيٍّ شعبـانَ فهو شهرُ سعودي وَعْــدُ وَصْــلي فيه وليلةُ عِيدي

فكان كما أجراه الله على لسانه، إذ وصل إلى رحمة ربّه في شعبان، ففجـع الإسلام بوفاته، وثلم في الدين ثلمة لا يسدّها أحد، تغمّده الله بواسع رحمته.

آثــاره:

في الحقيقة أنّه لم يمت من خلّف ما خلّفه المترجَم من الآثار التي تهتدي بها الأجيال، وتحتجّ بها الأبطال، فإنّ في مؤلّفاته ثمرات ناضجة قدّمها المترجَم لروّاد الحقيقة، وفيما يلي مسرد لها ـ وقد نبّهنا إلى ما هو مطبوع منها فعلاً أيضاً ـ عسى الله أن يقيّض من يحيي غير المطبوع منها:

١ ـ الهدى إلى دين المصطفى، في الردّ على النصارى، مطبوع.

٢ ـ الـرحلة المدرسية أو: المدرسة السيّارة، في الردّ على اليهود والنصارى، مطبوع.

٣ ـ أعاجيب الأكاذيب، في الردّ على النصارى، مطبوع.

٤ ـ التوحيد والتثليث، في الردّ على النصارى، مطبوع.

٥ ـ عمّانوئيل، في المحاكمة مع بني إسرائيل.

٦ ـ داعي الإسلام وداعي النصارى، في الردّ على النصارى.

٧ ـ رسالة في الردّ على جرجيس سايل وهاشم العربي، في الردّ على النصارى.

٨ ـ رسالة في الردّ على كتاب «ينابيع الإسلام» في الردّ على النصارى.

٩ ـ رسالة في الردّ على كتاب «تعليم العلماء» في الردّ على النصارى.

١٠ ـ المسيح والأناجيل، في الردّ على النصارى، مطبوع.

١١ ـ نور الهدى، في الردّ على شبهات وردت من لبنان، مطبوع.

وهذه الكتب والرسائل المذكورة آنفاً تأتي في محالّها من القائمة الفهرستية التي أعددناها وألحقناها في آخر الرسالة التي بين يديك.

١٢ ـ البلاغ المبين، في الإلهيّات، مطبوع.

١٣ ـ أنوار الهدى، في الردّ على الطبيعيّين والماديّين وشبهاتهم الإلحادية، مطبوع.

١٤ ـ مصابيح الهدى، في الردّ على القاديانية.

١٥ ـ الشهاب، في الردّ على كتاب «حياة المسيح» للقاديانية.

١٦ ـ نصائح الهدى، في الردّ على البابية، مطبوع.

١٧ ـ دعوى الهدى إلى الورع في الأفعال والفتوى، في إبطال فتوى الوهّابيّين بهدم قبور البقيع، مطبوع.

١٨ ـ قصيدة في معارضة قصيدة ابن سينا العينية في النفس، طبعت ضمن ترجمته في كتاب «أعيان الشيعة».

١٩ ـ قصيدة في جواب القصيدة البغدادية، في إثبات وجود الإمام صاحب الزمان وأحواله عجّل الله تعالى فرجه الشريف، طبعت ملحقة بكتاب «كشف الأستار» لخاتمة المحدّثين الشيخ حسين النوري الطبرسي.

٢٠ ـ رسالة في الاحتجاج لكلّ ما انفردت به الإمامية بما جاء من

الأحاديث في كتب غيرهم.

٢١ ـ إلزام المتديّن بأحكام دينه، بطراز جذّاب وأُسلوب فريد في بابه.

٢٢ ـ رسالة في ردّ أوراق وردت من لبنان،ولعلّها نفس الكتاب المتقدّم برقم ١١.

٢٣ ـ داروين وأصحابه، مطبوع.

٢٤ ـ نسمات الهدى، طبع في بعض أعداد مجلّة العرفان.

٢٥ ـ أجوبة المسائل البغدادية، في أُصول الدين، مطبوعة.

٢٦ ـ أجوبة المسائل الحلّية.

٢٧ ـ أجوبة المسائل التبريزية.

٢٨ ـ آلاء الرحمن في التفسير القرآن، مطبوع.

٢٩ ـ رسالة في تكذيب رواية التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام.

٣٠ ـ رسالة في وضوء الإمامية وصلاتهم وصومهم، طبعت بالإنكليزية، أمّا الأصل العربي فلم يطبع.

٣١ ـ رسالة في الأوامر والنواهي.

٣٢ ـ تعليقة على «العروة الوثقى» للسيد اليزدي.

٣٣ ـ تعليقة على مباحث البيع من كتاب «المكاسب» للشيخ الأنصاري، مطبوعة.

٣٤ ـ تعليقة على كتاب الشفعة من كتاب «جواهر الكلام».

٣٥ ـ رسالة في حرمة حلق اللحية.

٣٦ ـ رسالة في الخيار.

٣٧ ـ رسالة في التقليد.

٣٨ ـ رسالة في صلاة الجمعة لمن سافر بعد الزوال.

٣٩ ـ رسالة في بطلان العول والتعصيب.

٤٠ ـ رسالة في عدم تزويج أُمّ كلثوم.

٤١ ـ العقود المفصّلة في حلّ المسائل المشكلة، وهي ١٤ عقداً في الفقه وأُصوله مطبوعة، وهي:

أ ـ رسالة في العلم الإجمالي.

ب ـ رسالة في ذبائح أهل الكتاب.

ج ـ رسالة قاعدة على اليد ما أخذت.

د ـ رسالة في ضبط الكرّ.

هـ ـ رسالة في ماء الغُسالة.

و ـ رسالة في حرمة مسّ المصحف على المحدث.

ز ـ رسالة في تنجيس المتنجّس .

ح ـ رسالة في إقرار المريض .

ط ـ رسالة في منجّزات المريض .

ي ـ رسالة في اللباس المشكوك.

ك ـ رسالة في مواقيت الإحرام.

ل ـ رسالة في القبلة وتعيين مواقع البلدان المهمّة في العالم من مكّة المكرّمة بحسب الاختلاف في الطول والعرض .

م ـ رسالة في إلزامهم بما ألزموا به أنفسهم.

ن ـ رسالة في الرضاع.

٤٢ ـ رسالة أُخرى في فروع الرضاع على مذهب الإمامية والمذاهب الأربعة.

٤٣ ـ رسالة في البداء، مطبوعة.

وغيرها.

ومن المصادر المتقدّمة اقتبسنا هذه الترجمة.

رسالة التوحيد والتثليث:

وهي جواب لرسالة كانت قد جاءت إلى المؤلف من إحدى نواحي سوريا مثيرة بعض الشبهات، فكتبها المؤلف ونشرها لمّا لم يعرّف المرسلُ عنوانه!

كانت قد طبعت لأول مرّة في مطبعة العرفان بصيدا عام ١٣٣٢ هـ، ولأهمّيّة موضوعها في العصر الحاضر ارتأينا إعادة نشرها وفق الأُسلوب الطباعي الحديث، وذلك بإعادة توزيع نصّ الرسالة بما يتناسب مع الأُسلوب الحديث، وإثبات أغلب الإحالات ـ الموجودة في المتن ـ في الهامش بدلاً عمّا كانت عليه إلّا ما اقتضته الضرورة، مع إضافة بعض الهوامش التوضيحية على ما أثبته المؤلف ـ قدّس سرّه ـ في المتن وعلّمناها برمز (م) ليعلم أنّها مضافة مزيدة.

كما أعددنا قائمة فهرستية ألحقناها بآخر الرسالة تشتمل على ما تيسّر لنا جمعه من الكتب أو المقالات المنشورة في المجلّات فيما يخصّ الردّ على اليهود والنصارى وكشف دسائسهم.

تنبيـه: لَمّا كان المؤلف ـ قدّس سرّه ـ قد احتجّ على اليهود والنصارى جدلاً وإلزاماً بما في العهدين المنسوبَين إلى الإلهام والوحي الإلهيّ، فقد استخدم نفس الرموز المصطلح عليها عندهم لأسماء كتبهما، ندرج أدناه ما استعمله في هذه الرسالة:

١ كو = رسالة بولس الأُولى إلى أهل كورنثوش.

يو = إنجيل يوحنّا

مت = إنجيل متّى

مر = إنجيل مرقس

لو = إنجيل لوقا

أع = أعمال الرسل

تك = سفر التكوين

أي = كتاب أيّوب

خر = سفر الخروج

عد = سفر العدد

نش = نشيد الإنشاد

زك = كتاب زكريّا

١ أي = تاريخ الأيام الأول

مرا = مرائي ارميا

١ بط = رسالة بطرس الأُولى

مي = كتاب ميخا

يع = رسالة يعقوب

أش = كتاب أشعيا

تث = سفر تثنية الاشتراع

يش = سفر يشوع أي يوشع

١ مل = تاريخ الملوك الأول

٢ مل = تاريخ الملوك الثاني

١ صم = كتاب صموئيل الأول

٢ صم = كتاب صموئيل الثاني

لا = سفر اللاويّين

قض = سفر القضاة

مز = مزامير داود أي الزبور

دا = كتاب دانيال

١ يو = رسالة يوحنّا الأُولى

عب = رسالة بولس إلى العبرانيّين

رو = رسالة بولس إلى أهل رومية

شكر لا بُدّ منه:

لا يفوتني في هذه العجالة إلاّ أن أتذكّر الحديث المشهور «من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق» فأتقدّم بالشكر إلى كلّ من أعانني على إخراج هذه الرسالة ثانية بهذا الشكل الجديد، وأخصّ بالذكر منهم:

الأخ الأُستاذ المحقّق أسد مولوي مسؤول لجنة تقويم النصّ في مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث لمراجعته الشاملة للرسالة والقائمة الفهرستية وما أتحفني به من ملاحظاته القيّمة، والأخ عبد الجبّار الرفاعي لاستفادتي من قوائمه الفهرستية التي أعدّها عن التبشير والمبشّرين.

كما أخصّ بالذكر إدارة مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث لسماحها لي بالاستفادة من مكتبتها العامرة في سبيل إعداد القائمة الفهرستية وتيسير سبل الطبع والإخراج.

هذا، ونسأل الله تعالى التوفيق لخدمة دينه الحنيف، والحمد لله ربّ العالمين.

م. ع. ح.

٢٢ ربيع الآخر ١٤١١ هـ





هذه رسالة في التوحيد والتثليث

at Tauhïd oi= Ttasliss

﴿ وهي جواب لرسالة جاءتني خصوصا من نواحي سوريا ﴾

﴿ ممن لم يعرفني نفسه ﴾

واني اقدم له ما يليق بشأنه من التحية والثناء

وادعو له بالتوفيق والتسديد فانه انفع الدعاء

من خير المسؤولين

مطبعة العرفان ، صيدا سنة ١٣٣٢

Imprimérie El Irfan — Saïda (Syrie) 1914

صورة الصفحة الأولى من الطبعة الأولى للرسالة.



هذه رسالة في التوحيد والتثليث

﴿وهي جواب لرسالة جاءتني خصوصاً من نواحي سوريا ممّن لم يعرّفني نفسه﴾.

وإنّي أُقـدّم له ما يليق بشـأنه من التحيّة والثناء، وأدعو له بالتوفيق والتسديد، فإنّه أنفع الدعاء من خير المسؤولين.



أمّا بعد،

فقد سبرتُ رسالتك فلم يقع النظر من فوارضها على ما تزدهني ولو كخضراء الدمن.

وكثيراً ما وقعت على الأفكار فذبّها النظرُ والبداهةُ عن مغارسِ التوحيد خاسئة.

ومع ذلك، فإنّ لك حقّ الجواب وذمّة المراسلة.

وإنْ كنتَ قد جهلتني وحسبتني مِمّن ينخدع بهذه الأوهام عن التوحيد الذي ماثه العقلُ وبداهةُ الفطرة بلحمي ودمي، حتى كان هو الحامي لحوزته، والذائد لجرب الغرائب عن حوضه.

وحاولتَ أن تخادعني بكتب قد ابتزّتْ من الحقائق الدارسة اسمها، حتى كأنّك لا تدري بأنّي لم تخفَ عَلَيَّ مواردُها ومصادرُها، ونشوؤها وارتقاؤها، وتقلّبُ أحوالها، وتلوّنها في التراجم والمطابع، حتى تعدّى مسمّى

الاسم الواحد منها لا إلى التثليث فحسب، بل تزيده الأيام بمرورها ما شاءت الأهواء تعدّداً وتلوّناً.

ولكنّ الشريعة المقدّسة التي أدّبتنا على حسن الظنّ بالمقابل، وحمل أمره على ما هو الأحسن به، اقتضت لي أن أحسبك غرّاً مغروراً، لا خبّاً مخادعاً. فأوجب عَلَيَّ الهدى أن أغتنم منك الفرصة - برجاء التوفيق والتأثير - فأوقد فكرك، وأُنبّهك على غفلاتك، وأُروّض من جماحك، وأدعوك إلى الحقّ وسبيل النجاة والسعادة.

ثمّ أُوضّح لك - بعون الله - الجواب في فساد ما تلقّنته وتلقّفته من غيرك، مخادِعاً كنت أو مخدوعاً.

ولو أنّك ذكرت اسمك ومحلّك، لسَيَّرتُ هذه الرسالة إليك قصداً، وجلوتها لك خصوصاً، ولكنّك عَمّيت أثرك، وأبهمت محلّك، فاقتضى حقّ الجواب أن أنشر مطبوعَها إن شاء الله، فعلّها تصادفك على غِرّة، وتبلغ قصدها من حيث لا تحتسب.

فخذها رسالة يهديها إليك الهدى من معادن الحقّ ورياض القدس، لتنال ببركتها السعادة - إن شاء الله - إذا نصحتَ نفسَك، وآثرتَ نجاتَها، وجاهدتَ في الله.

وإنّي أدعوك، وكلّ من أوجب عَلَيَّ الحقُّ دعوتَه، إلى الإقرار بالله إله الحقّ، وتوحيده، وحكمته، وقدرته، وجبروته، وكماله، وغناه؛ فلا تخالس توحيده بشرك التثليث، وحكمته بمنقصة العبث، وقدرته بوهن العجز، وجبروته بذلّة الضعف، وكماله بخسيسة النقص، وغناه بحاجة الفقر، جلّ شأنه عن فلتات الأوهام.

وإنّك لا تفوز ببركة هذا الإقرار، وفضيلة هذا العرفان، وتدين بتوحيد الله وتقديسه، وتنزيه أنبيائه عن رذائل القبائح، إلّا إذا أسلست قيادك للعقل واتّبعت أثره، ليهديك ـ بعون الله وتوفيقه ـ إلى النور الساطع، دينِ الإسلام، الجامع لحقائق المعارف، وأسباب النجاة، والسعادة في الدنيا والآخرة.. ولا ينبّئك مثلُ خبير.

واعتبر أولاً ـ هداك الله ـ بتناقض أقوالك، واضطراب أحوالك، في مبادئ كلامك، لكي تعرف أنّ هذه العثرة من زمانة التعاليم، وهذه الحكّة من داء الكُتب.

فإنّك ـ هداك الله ـ بينما تبشّر آمالي و تبهج نفسي بالدعوة إلى اتّباع دلالة العقل والاستضاءة بنوره، إذ أيّستني بنكوصك إلى التنديد بالعقل والمعقول، والتنفّر من إيضاح البرهان، والسخرية بالاعتبار بالممكن والممتنع، فأحلتني على مجهولات كتبٍ قد مُوِّهَتْ بالأسماء، وحاولت المجامعُ أن تطليها بعد النزاع باسم التسليم..وهيهات... وهيهات...

وهي التي يشهد بعضها على بعض بالتحريف والكذب على الوحي، إشارةً وتصريحاً.

وهي التي تتلوّن في التراجم والمطابع تلوّن الحرباء، وتبرز كلّ حين في ثوب جديد.

وهي التي لو كان لها أثر قديم لكان أقصاه في قديمها إلى دعوى النسبة لعزرا، ثم بعد اللتيّا-والتي إلى حلقيا الكاهن؛ وأقصى أثرها في جديدها إلى المجامع، ثم إلى استشهادات الآباء.

وهي التي توضّح الأغلاط الكثيرة في قديمها ـ الملتزَم بها في أصلها العبراني ـ عن أنّ مبدأ نشوئها إنّما هو من مبتدِع ملفّق لا معرفة له بالكتابة ولا أوضاع الألفاظ ولا صوغ التراكيب، فتعرّفك فلتات كاتبها أنّها بنته وربيبة حجره؛ تسمع بسببي بابل وما قبله من أساطير الأولين.

وهي التي لو تربّت في حجر نبيّ أو وَليّ لعرفَتْ لله حقّه فلم تقصد قدسَه وكمالَه بلوازم النقص ، ورعَتْ للأنبياء ذمّتهم فلم تقرفهم بفواضح الفظائع وقبائح الجرائم.

هذا إذا حابينا هواك، وعزلنا العقل عن التحكيم في أمرها.

وأمّا إذا خضعنا لسلطانه العادل، فإنّه يردُّ إلى الامتناع ظُلامَتَه، ويحكم له بكثيرٍ منها.

وإنّك تطلب منّي ـ عافاك الله ـ أن أتعامى عن نور العقل، ودلالة البرهان في أمر الدين العظيم ومعترك الآراء وأخطار الأضاليل و مزالق الأوهام وهوسات الأهواء...

فماذا أقول ـ هداك الله ـ للعقل إذا عاتبني بخطاب ينكّس منه ذو الحياء رأسه خجلاً، ويقرع منه ذو الوفاء سِنّه ندماً؟!

فهل تراني أحير جواباً إذا قال لي: ألستُ صاحبك الذي لا يتركك في جميع أُمورك ، خطيرها وحقيرها؟! لا أحبس فيها عنك نصحي، ولا أبخل بدلالتي، حتى أنّي إذا استولى عليك الهوى، وخادعتك النفس الأمّارة، و حسّنا لك ما يشينك بوصمته، ويضرُّك بمبدئه وعاقبته، أقحمت نفسي بينكما على كرهٍ منكما، كاقتحام الطفيلي وأنا صاحب الدار، متحمّلاً ذلّة الفضولي وأنا المولى المستشار؛ فلم أزل أسوسك بلطف الإرشاد حتى

أهديك إلى الصواب مهما أمكنَت الفرص وأسعدك الحظّ باتّباعي!

أوَلستُ بصاحبك الذي تفزع إليه في مهمّاتك، وتستجير بي من خطأ حواسّك؟! أفَلَمْ أُصَفَّ لك الموارد، وأُسهّل لك المصادر؟!

أوَلستُ بصاحبك الذي عرَّفك إلٰهك، ودلَّك على معبودك وعلمه ولطفه وحكمته وقدسه، وعرَّفتك دلالة المعجز على النبوّة، وصدق النبي في التبليغ عن الله، وميَّزت لك الوحي الصادق من الكاذب؟!

فهل وصلت إلى هذه الحقائق، وعرجت إلى هذه الرفعة باضطراب الأهواء أو هوسات الأضاليل أو عماية التقليد ؟!

فإن زعمتَ أنّ مرشدك في دينك، ومعتمدك في اعتقادك، إنّما هي الكتب المنسوبة إلى الوحي، فمن ذا الذي عرَّفك الوحي والموحي والموحى إليه ؟!

ومن ذا الذي ميَّز لك حقّ ذلك من باطله، وصادقه من كاذبه ؟!

أفبالمجامع المضطربة عرفت ذلك، أم بكثرة الأتباع ؟!

إذاً، فلماذا تركت تعاليم «برهما» و «بوذا» مع أنّهما أكثر أتباعاً ومجامعاً ؟!

أفعندك ـ هداك الله ـ ما أُجيب به العقل في هذا العتاب المخجل والتقريع المؤلم ؟! خصوصاً إذا شرح حاله معك وجاهر بتظلّمه منك، وقال: إنّ هذا الرجل لم يزل ولا يزال يرجع إليَّ في أُمور دنياه فيتعرّف منّي الحسن، ويسترشدني إلى الأصلح !

ولكنّ السلف والهوى والأُلفة لمّا علموا من أوائل قضاياي وأساسيّات أحكامي أنّي لا أُواتيهم على شيء من هذه الأُمور وقد فصلت

القضـاء فيهـا للامتنـاع، فلذلك كان المركز السياسي لهم أن يقاوموا سلطاني في أمر الدين، حتى جاهر داعيهم فقال غير مبالٍ: «لأُبشّر لا بحكمـة كلام، استحسن الله أن يخلّص المؤمنـين بجهالة الكرازة، لأنّ جهالة الله أحكم من الناس»[1] تعالى الله إله الحقّ الواحد الأحد عن ذلك.

كلّ ذلك ليتمرّد عَلَيَّ في أمر الدين مَن لم يزل متمتّعاً في أُمور دنياه بحسن رعايتي، خاضعاً فيها لسياستي، منقاداً في تجارته وأُموره لحكمي الأولي بأنّ الواحد لا يكون ثلاثة، والثلاثة لا تكون واحداً.

فهل تقدر أن تغالطه في المعاملة فتدفع إليه واحداً بدل ثلاثة، أو تأخذ منه ثلاثة بدل واحد، أو يقول لك: كلّا، ما أنا بمجنون ؟!

ولئن غالطتهم الأهواء بالاعتلال عَلَيَّ بوقوفي عن حقيقة الروح التي استأثر خالقُها بالعلم بها، فهل يخفى على أحد أنّي ممكنٌ مخلوقٌ، منحني الله أشياء وحجبني بحكمته عن أشياء ؟! فهل يحجبني البشر عـمّا منحني ربّي لأجل وقوفي عمّا حجبني عنه ؟!

كيف، وإنّ الـرسـول الظاهر مهما كان فهو محجوب أيضاً عن أشياء كثيرة، فكيف يُسمع منه ؟!

بل إنّ مَن يزعمـونـه أُقنـوم الابن الحالّة عليه روح القدس، ويسمّونه الإله المتجسّد «لا يعلم بساعة القيامة، ولا يعلم بها إلاّ الله، ليس الأقانيم الثلاثة، بل أُقنوم الأب وحده»[2].

---

(١) ١ كو ١ : ١٧ ـ ٢٦.

(٢) مر ١٣:٣٢.

وإنّي وإنْ لم أصل إلى كُنه الحقيقةالإلـهيّة.. ولكنْ ألستُ أنا الطريق إلى الله، والمفزع في معرفة صفاته جلَّ شأنه، والمميِّز لما يجوز عليه وما لا يجوز ؟!

أوَليس بدلالتي عُرفت النبوّات والأنبياء وصدقهم، وما يجوز عليهم وما لا يجوز ؟!

أفأُحجب حتّى عن معرفتي بأنّ واجب الوجود لا يتّصف بصفات النقص والحدوث، وأنّ الواحد ليس ثلاثة، والثلاثة ليست واحداً ؟!

ألَمْ تسمع أنّ السيّاحين يبالغون بغباوة بعض الّذين في شماليّ سبيريا، ويقولون: إنّهم لا يتجاوزون في معرفة الأعداد عن العشرة؛ فهم على هذه الغباوة يميّزون مراتب هذه الأعداد وحقائقها فيما بين الواحد والعشرة.

أفلا يسمح لي الناس ـ وأنا العقل المخلوق نوراً للعالم، ورسولاً باطناً إلى كافّة البشر ـ أن أعرف من الأعداد مراتب الواحد، والاثنين، والثلاثة ؟! فأُميِّز أنّ الواحد الحقيقي لا يكون ثلاثةً، أحدهم يتجسّد على الأرض ، والثاني ينزل من السماء بشكل حمامة جسمية، والثالث يبقى في السماء؛ وأنّ الثلاثة الّذين أحدهم صُلب ومات، والثاني الذي أقامه من الموت وأجلسه على يمينه، والثالث الذي انقسم على جماعة من الناس ، هؤلاء لا يكونون جميعاً واحداً حقيقياً.

أفآل أمر الناس إلى مثل هذه الخلاعة، وقد كان عهدي بالناس أنّ الأهواء لا تستحوذ عليهم إلّا إذا تدلّست باسمي، ولا تقدر أن تروِّج الضلال فيهم إلّا إذا موَّهته باسم المعقول.

هذا ما أعلمه ـ هداك الله ـ من مناجاة العقل ومطارحاته، فماذا ترى لي من الجواب ؟!

أفأقول في جوابه: دع عنك هذا «فإنّ الله استحسن أن يخلّص المؤمنين بجهالة الكرازة»! كلّا ثم كلّا، لا أعشو عن نوره، ولا أضلُّ عن هداه، ولا أتصامم عن دعوته، وما توفيقي إلّا بالله.

واعلم ـ هداك الله ـ أنّ الاهتداء بهدى العقل والخضوع لسلطانه هو ناموس الحرّية، وأنّ اتّباع الهوى ومكابرة العقل هي العبودية الخسيسة، ولو أنّك اهتديت بأوّليّات العقل وبديهيّاته، فضلاً عن نظريّاته، لوضح لك الحقّ اليقين، وسلكت في جادّة الصواب، وأوصلك الجهاد في الله إلى حقيقة العرفان، والدين القيِّم، فأصبحتَ واحداً من المسلمين، لك ما لهم وعليك ما عليهم، ولكنّك إذا مننت عليهم بإسلامك تلوا عليك قول الله جلّ اسمه: **﴿يمنُّون عليكَ أنْ أسلَموا قل لا تَمُنّوا عَليَّ إسلامَكُم بل الله يمنُّ عليكم أنْ هداكم للإيمان إنْ كنتم صادقين﴾**[3].

[1] وأمّا قولك: «إنّ العقل يرجع بي من نصف الطريق إلى سذاجة التوحيد».

فإنّ العقل ليقول في جوابك فيه: عافاك الله، وهل ترى لي عن هذه الحقيقة معدلاً ؟! أو أجد إلى غيرها سبيلاً ؟! وهي التي عليها فُطِرْتُ وعليها جُبِلَ هُداي.. ولئن تخطّاها الهوى برغمي، فلا أظنّ بغير عواصفه الوبيّة أن يجمع بين ظُلمة الشرك ووخامة التناقض ، بدعوى كون

---

(٣) سورة الحجرات ٤٩:١٧.(م).

الواحد الحقيقي ثلاثة حقيقة، والثلاثة حقيقة واحداً حقيقياً

عافـاك الله، وهل تعدو الوحدة الحقيقية أن تكون ساذجة هي منتهى مراتب الأعداد في البداية، ولئن سمعتَ بتسمية بعض المتعدّدات واحداً مجازاً فإنّما ذلك لأجل وحدة الجهة العارضة عليها، المباينة لها في الحقيقة.

[٢] وأمّا قولك: «و بساطة المعرفة».

فإنْ أردت بالبساطة فيه ما يرادف الحرمان من التعقّل والتفهّم فهو من أفحش الظلم، لأنّ كل شاعر يدري بأنّ العقل لا يصل إلى البسـاطة، ولا يمرّ طريقه عليها، ولا يرجع إليها بعد أن تخطّاها بأول سيره، وإنّها لضدّه المباين وعدوّه المقاوم، وما أسرع ما خالفتَ كتبَك وأنت تدعو إليها! كيف لا، وهي تذمّ الحكمة، وتمجّد الجهالة، وتنسبها إلى الله؟! تعالى عمّا يقولون!

[٣] وأمّا قولك: «فتبعد عن معرفة جلال الله ومجده في أقانيمه».

فهل تريد فيه ـ عافاك الله ـ أنّي إذا قلت بحقيقة التوحيد فقد نسبت إلى الله جلّ شأنـه ضعف الوحدة ومهانة الانفراد عن المعاون، ونفيت عنـه مجد الجمعية، وشوكة الكثرة، وسَداد اتّفاق الآراء، وسلطة التعاضد بالجمهورية ؟!

فقل لي لمن أصفُ بالمجد مِنْ هذا العدد ؟! وعن معرفة أيّهم بَعُدْتُ بالتوحيد ؟!

فهـل بعـدت عن معـرفـة الأب الذي في السماوات، أو الابن المتجسّد المضطهد المصلوب المهان على الأرض، أو الروح الذي انفتحت

له السماء ونزل بشكل حمامة جسمية ثم انقسم كألسنة من نار ؟!

وإلى من يرجع مجد الأقانيم ؟! هل إلى شوكة الجمعية ؟! فليس لكل واحد في ذاته مجد ! أو إلى جهة الاتّحاد المغايرة لكلّ واحد منهم ؟! أو نؤثر بعض الأقانيم دون بعض ؟!

[٤] وأمّا قولك: «وتجسّده».

فأفصِح لي عمّا تريد منه، فإنّك وأصحابك تقولون: إنّ المتجسّد على الأرض هو الابن؛ ويقول كتابك أنّ الابن نفسه يقول: إنّ الأب بقي في السماوات. فإن كان التجسّد مجداً فلماذا استأثر به الابن عن الأب الذي يدعوه الابنُ إلهاً ؟![٤] ويعترف بأنّه لا يعلم ما يعلمه[٥] ولا يقدر إلّا على ما أقدره وأعطاه[٦] وأنّه أعظم منه[٧] ويفزع إليه في حوائجه وضيقاته[٨].

ولئن كان المجد بالتجسّد فقد سلبت عن الأب هذا المجد!

وأيّ مجد بهذا التجسّد ؟! فهل هو لكونه أفضى إلى تلاعب إبليس بهذا الإله المتجسّد؟! حتى ذهب به إلى جبل عالٍ وأراه ممالِكَ المسكونة، وأطمعه بإعطائها إيّاه إذا سجد له، ثم ذهب به إلى جناح الهيكل وصار يخادعه![٩].

---

(٤) يو ٢٠:١٧.

(٥) يو ٥:١٩ و٣٠.

(٦)يو ١٢:٤٩.

(٧) يو ١٠:٢٩ و ١٤:٢٨.

(٨) مت ٢٦:٣٨ و ٣٩، ويو ١١:٤١ و٤٢.

(٩) مت ٤، ولو ٤.

أم لكونه أفضى إلى تَحمّله الذلّة والاضطهاد والخوف من اليهود وقيصر، حتى أنّه كان يعطيه الجزية ويتستّر في تعاليمه ويورّي فيها ؟![10].

أم لكونه بكى وحزن واكتأب إذ دنت ساعة الصلب ، حتى صار يطلب من الأب بأشدّ لجاجة أن تعبر عنه كأس المنيّة ؟![11].

أم بما يذكره كتابك فيما حدث عليه من اليهود بعد ذلك ؟![12].

أم تقـول: يكفي من مجد هذا التجسّـد ما يذكره الإنجيل من جلوسه في مجلس العرس في «قانا» وارتفاع ذكره بين السكارى حيث كثّر لهم الخمر وأعاد لهم نشوة الخُمار؟![13].

أو إجلاسه ليوحنّا بن زبدي، الشابّ الطريّ، في حضنه ليتغنّج عليه ويتّكىء على صدره ؟![14].

أو مغازلة الزانية بنفثات الحبّ، إذ بلّت بدموعها قدميه، وصارت تمسحها بشعر رأسها ؟![15].

أفتقول: أين يجد مثل هذا المجد لو بقي في السماء بلا تجسّد ؟! سبحانك اللّهمّ وتعاليت وتقدّست.

[٥] وأمّا قولك: «وقداسته وعدله» .

فلعلّك تريد به ما يلهـج به مبشّـروكم في قولهم: «إنّ عدل الله

(١٠) مت ١٧ و٢٢.

(١١) مت ٢٦، ومر ١٤، ولو ٢٢.

(١٢) مت ٢٦ و٢٧، ومر ١٤ و١٥، ولو ٢٢ و٢٣، ويو ١٨ و١٩.

(١٣) يو ٢.

(١٤) يو ١٣.

(١٥) لو ٣٦:٧ ـ ٥٠ .

وقداسته يستلزمان عقاب الخاطئ بالموت في جهنّم النار إلى الأبد، ولا يمكن أن يغضّ الطرف عن ذلك لبغضه الخطيئة التي لم يسلم منها أحد في العالم، فأظهر الله محبّته ورحمته بتجسّد ابنه على الأرض ليفدينا بصلبه، فيستوفي العدل الإلهيّ حقّه، إذ تحمّل بصلبه ما علينا من القصاص، ووفى ما علينا من الدين».

عافاك الله، هب أنّك طردت العقل عن حكومة هذه الخطّة، وقلت تبعاً لكتابك: إنّا نبشّر لا بحكمة كلام لئلّا يتعطّل صلب المسيح، ولكنّك لا بُدّ من أن تكون مارست المعاملات التجارية وتعاطي الوفاء في الديون ولو في لوازم بيتك، وأطّلعت على عدل الحكّام في قصاصاتهم وبغضهم للخطيئة والفساد، فقل لي: هل القدّوس العادل الذي يبغض الخطيئة ينبغي أن يبقي رهبة الناس منه بخوف العقاب، لينزجروا عن فعل الخطيئة فتضعف مادّة الفساد؛ أوَ أنّه يحابي أهواءهم وشرورهم فيفديهم ويطلق لهم زمام التمرّد؟! فهل يفعل محبّ الخطيئة أكثر من هذه المحاباة!؟

ثم إذا كان عدله وقداسته يستلزمان عقاب الخاطئ بالموت في جهنّم النار إلى الأبد، فلماذا انتقضت هذه الملازمة بالفداء؟! وكيف أوصل الاحتيال إلى التفكيك بين المتلازمين؟!

ثم لماذا تنازل الفداء إلى موت واحد يوماً وبعضي يومين على قولكم؟! وهل يكون هذا من تحمّل القصاص ووفاء الدين؟! فإنّ التفاوت فيه ليس كما بين الواحد والثلاثة لكي يُدّعى فيه الاتّحاد، بل إنّ التفاوت ليفوت حدّ الإحصاء! وأيّة ضرورة دعت إلى هذا التنازل؟!

ثم إنّ الابن ـ على ما يقول كتابكم ـ قد استعفى من معاملة

الفداء، وطلب من الأب ـ ببكاء، وحزن، واكتئاب، ودعاء بأشدّ لجاجة ـ أن تعبر عنه كأسه، فهل كان من العدل والقداسة أن يُجبَر على معاملته؟! وهلّا وسعت الرحمة والمحبّة هذا الابن المستغيث المستعفي كما وسعت الخاطئين المفسدين؟!

وماذا يكون محلّ هذه الرحمة والمحبّة من العدل والقداسة إذا أرسلت الخاطئين يمرحون في ملاعب الخطايا والفساد آمنين وضاقت عن الابن البريء المستغيث المضطرب؟! وهل يجدي في ذلك إذا ظهر له ملاك من السماء يقوّيه[١٦]؟!

ثم ـ على قولكم بالاتّحاد ـ من هو الأب؟! ومن هو الابن؟! ألستم تقولون: إنّهم واحد؟! أفلا يرجع هذا كلّه إلى أنّ القدّوس العادل، مبغض الخطيئة، قد حابى الخاطئين وأطلق سراحهم بتحمّله ما عليهم من القصاص، ثم حابى نفسه فأدمج المحاسبة وتنازل فيها إلى ما تزعمون؟! تعاليت اللّهمّ عن ذلك وتقدّست.

[٦] وأمّا قولك: «فتصبح محروماً من محبّته ورحمته وبركة فدائه ببركة الفادي الكريم».

فهو كما تقول: إنْ لم تسلك متاهات المفاوز في الهواجر تصبح محروماً من ريّك بلامع السراب ولفحات الهجير!

أفتخوّفني الحرمان ـ هداك الله ـ بأنْ أعبد الإله الواحد، الأحد، القادر، القاهر، العادل، القدّوس، العزيز، الحكيم، الجبّار، الحيّ الذي لا

---

(١٦) لو ٢٢:٤٣.

يمـوت، والدائم الذي لم يلد ولم يولد، بل جلّ وعلا عن نقص التعدّد والتركّب والجسميّة والمكان والتغيّر والضعف؟!

وتمّنيني الحظوة ـ عافاك الله ـ بأنْ أصف إلٰهي من حيث القدس والعدالة بما لا يرضى به مدير الناحية؟!

وأصفه من حيث الضعف والمظلومية والبكاء والجزع بما يأنف منه رئيس القرية؟!

أو أُغـالط وجداني فأجعل الواحدَ الحقيقي ثلاثةً حقيقةً وآثاراً، والثلاثة حقيقةً وآثاراً واحداً حقيقياً؟!

ولقد أردت أن أُغالط وجدان طفل لم يفطم فآخذ منه ثلاثة وأُعطيه واحداً بعنوان أنّه هي، فلم أقدر عليه لتمييزه لتعدّدها، ورغبته في كثرتها.

[٧] وأمّا قولك: «وتعشو عن جلال الربّ [يسوع] المسيح، له المجـد، فتنكر لاهوته الأقدس، وتحطّ قدره إلى خسّة الناسوت ونقص الطبيعة البشرية، مع أنّه الذي رفع بلاهوته قدرها إذ تقمّصها».

فإنّه ـ هداك الله ـ قول يضحك ويبكي، ويا ليتك تودع قلبك وطواياك أنّ قدس اللاهوت وكماله لا يوصم ولا يوصف بخسّة الناسوت ونقص الطبيعة البشرية، فتعرف ماذا قلت وماذا تقول!

ويا ليتك ـ في الأقلّ ـ تدرك تناقض كلامك هٰهنا، وتلتفت إلى أنّك بينما تعنّف على حطّ قدر اللاهوت إلى خسّة الناسوت ونقص البشرية، إذا بك تقول: إنّ اللاهوت تقمّص الطبيعة البشرية!!

وإنّي وأنت وكلُّ أحدٍ يعلم أنّ المسيح ـ الذي تعنيه ـ كان إنساناً حادثاً، متولّداً في زمان معلوم، من أُنثى معروفة.

ثم ترقّى من عالم الطفوليّة، متزايداً في النموّ، متغيّراً من حال إلى حال، منتقلاً من هيئة إلى هيئة[١٧] وكان كما تقول كتبكم يجوع[١٨] ويعطش ويتعب[١٩] ويدهش ويكتئب ويحزن[٢٠] ويبكي وينزعج، ويفزع في حوائجه وضيقاته إلى الله[٢١] ويتألّم[٢٢] ويأكل ويشرب[٢٣] وينام[٢٤].

بل تقول كتبكم أنّه صُلب وقال: إلهي إلهي، لماذا تركتني؟! وطعن في خاصرته ومات ودفن[٢٥].

وإنّ غريزة الفطرة لتقول ـ فضلاً عن العقل الذي حرمت نفسك من هداه، ولا ترتضي حكومته ـ: إنّ الإله لا يكون كذلك، وإنّ كتاب إلهامكم يقول عن رسوليكم «برنابا» و «بولس »: إنّهما نَفَيا عن نفسهما الألوهيّة محتجّين على أهل «لستره» بكونهما بشراً تحت آلام[٢٦] والمسيح ـ الذي تعنيه ـ لا ريب في أنّه بشر تحت آلام.

والكتاب الذي تحتجّ به وتعتمد عليه صريح في النقل عن قول

---

(١٧) مت ٢، ولو ٢.

(١٨) مت ٤:٣ و ٢١:١٨.

(١٩) يو ٤:٦ ـ ١٠.

(٢٠) مت ٢٦:٢٧و ٢٨.

(٢١) يو ١١:٣٤ ـ ٤٣.

(٢٢) مت ١٦:٢١.

(٢٣) مت ١١:١٩.

(٢٤) مت ٨:٢٤ و٢٥.

(٢٥) أُنظر أواخر الأناجيل.

(٢٦) أع ١٤:١١ ـ ٦٠.

المسيح بأنّ الله إلـهُه[٢٧].

فهل ترى أنّ الإله يكون له إله؟!

وصريح بنقل اعترافه بأنّه لا يعلم ما يعلمه الله، ولا يقدر إلّا على ما أعطاه الله إيّاه، وأنّ الحياة الأبديّة أن يعرفوا الله بأنّه الإله الحقيقي وحده، وأنّ «يسوع» هو المسيح الذي أرسله[٢٨]!

وهـل بعـد هذه الصـراحه ريبٌ لمن يعتمد على هذا الكتاب؟! خصـوصـاً مع نقله لاستغـاثـة المسيح بالله، والـدعـاء والتضرّع إليه، والاجتهـاد بالعبـادة له! وخصـوصـاً مع صراحته باحتياج المسيح إلى التجربة من إبليسَ، وتسلّط إبليس عليه، إذ تصرّف به وأطمعه بممالك المسكونة ليسجد له؛ ولم يدحر إبليس في الجواب إلّا بالاعتراف بالعبودية لله؛ ولو كان إلهاً لكان ذلك المقام أوْلى بأن يخسأ إبليس ببيانها ويعتصم بها من تصرّفه، كيف لا ولم يكن هناك يهود يخاف منهم؟!!

عافاك الله، سامحناك من المطالبة بالعقل الذي تذمّه، والمعقول الـذي تبغضـه، فدعهما جانباً على رغم الأدب والمعرفة، ولكنّا نطالبك بوجدانك الذي تميّز به نفسَك من عبدِك، وتعرف به مواقع الكلام، وتدبّر به أمر تجارتك، وتفهم مراسلات أصحابك.

نعم، أستعفيكَ من وجدانك الذي تجعل به الثلاثةَ حقيقةً واحداً حقيقياً، والـواحدَ الحقيقيّ ثلاثةً حقيقةً، فتصف كُلّاً منهم بصفةٍ وحالٍ

---

(٢٧) يو ٢٠:١٧، ومت ٢٧:٤٦، ومر ١٥:٣٤.

(٢٨) يو ١٧:٣.

ومكانٍ يباين كُلّاً مِمّا تصف به صاحبيه!

ثمّ انظر - هداك الله - أيّنا اجترأ على عظمة الله ومجده؟! وأيّنا حطَّ من قدر المسيح؟!

أفمن يقول: إنّ اللهَ الذي لا إله إلاّ هو، هو الإله الواحد القدّوس، الأزَليّ الدائم، العليم الحكيم، الغنيّ العزيز، القادر القاهر، الحيّ الذي لا يموت، العادل الرحيم، الجواد العظيم، الذي يجلّ عن التعدّد والحدوث والتجسّد والأين والمكان والتغيّر والضعف؛ وإنّ المسيح رسول مكرّم وعبدٌ مقرّبٌ لهذا الإله العظيم، قد بلّغ رسالته، وأدّى وظيفته، فلم يشن توحيده بشرك، ولا صدقه بكذب، ولا تعليمه بتناقض، ولا حججه بتهافت، ولا عفافه بدنس، ولم يتصرّف به الشيطان، ولم يهنه اليهود، بل كفاه الله شرّهم وسوء ولايتهم، ورفعه إلى السماء حيّاً ممجّداً؟

أم مَن يقول: إنّ الله واحدٌ ثلاثة، أراد أن يخلع عذار الخاطئين، ويطلق سراحهم في غيّهم، فيؤمنهم من زاجر الوعيد، وقصاص العدل، ولم يقدر على ذلك حتى تجسّد منه أُقنوم الابن على الأرض - أو هو ذاتُه - بأن تردّد في ظلمات الرحم وفضلاته، ثم ترقّى في النشوء من نقائص الطفولية وجهالاتها إلى أن اعتمد من «يوحنّا» بمعمودية التوبة، وحلّ عليه الأُقنوم الثاني فقاده الروح إلى البَرّيّة مع الوحوش؟!

وصار إبليس يتصرّف به ويجيء به من مكان إلى مكان ويخادعه بالغواية ويطلب منه السجود له!

ثم بقي ثلاث سنين في ذلّة الخوف ومهانة الاضطهاد، يصدر منه الكذب على إخوته مرّة، والعقوق لأُمّه والقدح بطاعتها لله أُخرى!

قد تناقضت تعاليمه على قلّتها، وناقضتها أفعالُه، واحتجّ بتعدّد الآلهة والأرباب مع اعترافه بوحدة الإله والربّ، واحتجّ بأوهى الحجج التي يعدُّها المُجّان من المضحكات!

وجعل توبة الزانية وإيمانها أن تبلَّ بدموع التوبة - أو الحبّ والمغازلة - قدمية، وتقبّلها بعفّتها، وتمسحها بشعر رأسها لطهارة قلبها!

وجعل تأديبه لتلميذه الشابّ الغضّ الطريّ أن يجلسه في حضنه ويتركه يتغنّج عليه ويتّكئ على صدره[29]!

ويعطي مفاتيح ملكوت السماوات والحلّ والربط لتلميذه الذي سجّل عليه بأنّه شيطان ومعثرة له ولا يهتمّ بما لله، بل بما للناس[30]!

ولّما دنا وقت الفداء ندم وحزن واندهش واكتأب وصلّى، وطلب من أُقنوم الأب - وقل: من نفسه - ملحّاً بأشدّ لجاجة أن تعبر عنه كأس المنيّة، فلم يقدر على ذلك، بل ضعف، وجاءه ملاك من السماء يقوّيه إلى أن جرى عليه الاضطهاد الفاحش، ونادى: «إلهي إلهي، لماذا تركتني؟!» ثم مات ودفن، وأقامه الله من الأموات!

كلُّ ذلك ليفدينا من لعنة الناموس إذ صار لعنةً لأجلنا؟!

تعالى شأنك اللّهمّ وجلّت عظمتك.

فدونك المقايسة - هداك الله وعافاك، وعرّفك بعظمته وجلاله - أفتمنّيني النجاة بالفداء الذي تنعى به الإله على زعمك؟!

عافاك الله، إنّ التاجر إذا أراد أن يعرض سلعته للبيع فلابُدّ له

---

(٢٩) استدلّ على مواقع ذلك بالجزء الأول من كتاب «الهدى» ص ٢٢٧ - ٢٣٣.

(٣٠) أُنظر: مت ١٦: ١٥ - ٢٤.

من تعاهد طواياها وزواياها، لينظر أنّها هل تنفق في سوق الوقت على نياقد التجّار أم لا؟ وذلك لئلّا تخلّ بشينها في مجد تجارته.

عافاك الله، أفلم تكن تسمع ما تقول أو تنظر ما تكتب؟! أفلم تكن تدري بما في كتبك؟!

ويا حسرتا، ماذا نقول للملاحدة المعطِّلة إذا قالوا لنا: أهذا مجد الإله الذي تكفّروننا وتسفّهوننا بجحوده؟!

[٨] وأمّا قولك: *«ولا نَأَتْ بك مجاهلُ الغفلة عن معرفة قدر الرسل، وعظيم أثرهم في نصرة الحقّ، ورسوخ قدمهم في الإيمان، وحسن ائتلافهم في المحبّة، وانتظام جماعتهم في الدعوة، حتى دمّثوا للمؤمنين شريعة سهلة، أدبية عقلية، قد أسّست نامـوس الحرّية، وبثّت التعاليم الروحية، فلم تشن لينها بقساوة، ولم تحتفل بالأعمال الفارغة»*

فإنّما هو قول أنت تقوله، وكتابك الذي تعتمد عليه يعارضك في ذلك ويقول: إنّ «بطرس» صار ينتهر المسيح حتى قال المسيح له: اذهب عنّي يا شيطان! أنت معثرة لي، لأنّك تهتمّ بما للناس لا بما لله!

وإنّ عشرة منهم اغتاظوا على المسيح من أجل عنايته بٱبْنَي «زبدي»!

ومـالـوا إلى الـرئاسة، وتشاجروا فيمن يكون الأكبر منهم بعد المسيح لمّا أخبرهم بأنّه ماضٍ عنهم، حتى وعظهم ووعدهم ومنّاهم بما يرغّبهم في الائتلاف وترك التشاجر!

وكثيراً ما وبّخهم على قلّة إيمانهم، وأنّهم لا إيمان لهم، وليس لهم من الإيمان مثل حبّة خردل!

ووصفهم الإنجيل بغلظ القلوب، وأخـبرهم المسيح بأنّ كافّتهم يشكّون أو يعثرون فيه، ويتفرّقون عنه، كلّ واحد إلى خاصّته ويتركونه وحده!

وطلب منهم المواساة بسهر ليلة فلم يواسوه، مع ما هو فيه من الدهشة والحزن والاكتئاب، حتى وبّخهم على ذلك مراراً!

ولّما هجم اليهود تركه الجميع وهربوا!

ثم لم يصدّقوا اللاتي أخبرنهم بقيامه من الأموات، وعدّوا كلامهنّ كالهـذيان، حتى وبّخهم المسيح على قساوة قلوبهم، وعدم إيمانهم، إذ لم يصدّقوا الّذين نظروه قد قام، مع أنّ الإنجيل كم وكم يذكر أنّ المسيح قد أخبرهم بأنّه يُقتل وفي اليوم الثالث يقوم من الموت!

وناهيك ما تذكره الأعمال والرسائل من العهد الجديد بعد حادثة الصلب في اضطراب المتنصّرين ومشاغبتهم، والمذمّة من بعضهم لبعض، حتى أدّت تلك المشاغبة إلى أنّ «بطرس» و «برنابا» و «بولس» وجماعة قد استعملوا الرياء لحفظ الشريعة!

ولكنّ فرصة الوقت وميل الأهواء إلى الراحة قد ساعدا التلاميذ و «بـولس» بنقل كتبكم على محو رسوم الشريعة بخلاف ما أوصى به المسيح، فبعضهم اتّفقت مشورتهم لجلب الأمم إلى الخضوع لرئاستهم بأن يصانعوا أهواءهم ومألوفاتهم برفع الختان وسائر قيود الشريعة، ولم تكن لهم حجّة في مشورتهم في ذلك إلّا استجلاب الأمم وترغيبهم إلى الإيمان بالمسيح، وأنّ موسى قد استوفى نصيبه من رئاسة الشريعة، لأنّ له من يكرز به في كلّ سبت.

ثم جاءت الـرسـائـل عن «بولس» فنسبت إليه إتمام الدست للأهواء، والمجاهرة بالإباحة العامة بلسان العيب والتضعيف والانتقاص للشريعة السابقة[٣١].

وإنّي لأُحاشي الحواريّين من هذه النسب الفظيعة، ولكنّ الذي دمّث للأهواء هذه الشريعة الشهوانية إنّما هو مَن له عداوة مع الله وشريعة رسله، وإنّ فلتات لسانه في زخرف بيانه لتفضحه بذلك.

[٩] *وأمّا تمجيدك لشريعة الرسل بأنّها «أدبية عقليّة»* فقد سبقك به البوذيّون في تمجيد شريعتهم، إذ مسخوا بها شريعة البراهمة قبل أن تدوَّن كتبكم بقرون عديدةو«ما أشبه الليلة بالبارحة»[٣٢] إلّا أنّ تلك تخلّصت من شريعةٍ باطلٍ قاسية، وهذه تمرّدت على شريعة حقٍّ عادلة.

أفتقول ـ هداك الله ـ: إنّ شريعة موسى ليست أدبية ولا عقليّة؟! ثمّ ما الذي ورّطك باسم العقل هُهنا؟! وأنت الذي تذمّ العقل والمعقول، وتحذّرني من أن يرجع بي من نصف الطريق!

[١٠] *وأمّا قولك: «لم تحتفل بالأعمال الفارغة»* فإنّك قد تورّطت به في معركة كتبك التي انقسمت إلى صفّين:

فصفّ التوراة ورسالة «يعقوب» يناضل في حماية الأعمال، وكذا الإنجيل حيث أوصى بحفظ ما يقـول به الكتبة والفريسيّون والعمل عليه، لأنّهم على كرسيّ «موسى» جلسوا[٣٣] وجاهر بأنّه لم يجئ لينقض

---

(٣١) استدلّ على مواقع هذا كلّه بالجزء الأول من كتاب «الهدى» ص ٣٠ ـ ٣٤.

(٣٢) في مادّة برح من: لسان العرب ٤١٢/٢ ومعجم مقاييس اللغة ٢٣٩/١. (م).

(٣٣) مت ٢٣:١ ـ ٣.

الناموس والأنبياء، وأنّ الأكبر في ملكوت السماوات من علم وعمل[٣٤].

والصفّ الثاني - وهو المنتظم تحت قيادة النسبة إلى «بولس» - يحصر النجاة بالإيمان، ولا يجعل لوجود الأعمال الصالحة أثراً ومداخلة في النجاة، بل وصف كثيراً من وصايا التوراة بأنّها للفناء وتعاليم الناس.

هداك الله، وكِلا الفريقين من كتبك! فكان الأوْلى بك في هذه الفتنة والمثابرة أن تلجأ إلى الحياد، ولاتغترّ بغلبة أحد الفريقين بنصرة الهوى ومعونة حبّ الراحة.

[١١]*وأمّا تمجيدك لشريعتك بأنّها «عكفت عليها الأُمم وتشرّفت بها الملوك»* فقد سبقت الشريعةُ البوذيّةُ في راحة إطلاقها بهذا الذي تزعمه مجداً أيام كانت الهند الشرقية تباهي بتمدّنها الغرب الوحشي، على أنّ شريعتك قد مضت عليها قرون وهي عرضة لاضطهاد الملوك!

[١٢]*وأمّا قولك في شأن رسلكم: «وناهيك بأثرهم في المعرفة ومِنّتهم على البشر، إذ جلوا للناس حقيقة الثالوث ومجد الأقانيم وجاهروا بتعليمها»*.

فإنّه قول من لا خبرة له بالتاريخ وأديان العالم، أو قول من يخادع نفسه ويسخر بها في محاولة التمويه، أفلا تعلم أنّ التثليث والثالوث والأقانيم والتجسّد وما تفرّعونه عليها قد سبقت ضلالة الأوهام بها من زمان «برهما» و«بوذا»[٣٥] أو قبل ذلك؟! فما القول المتأخّر بها إلاّ تلمّذ على

---

(٣٤) مت ٥:١٧ - ٢٠.

(٣٥) أنظر: كتاب «العقائد الوثنية في الديانة النصرانية» وتاريخ برهما وبوذا في حرف الباء من «دائرة المعارف».

ذلك التعليم!

وأمّا ما ذكرته من احتجاجك للتثليث بأوهامك من كتبك، فهو اللائق بمن لم يرتضِ العقل والمعقول، ولم يرتدع برادع الامتناع، وإنّك - عافك الله - إذ جانبت العقل والمعقول والوجدان والاعتبار بالإمكان والامتناع، كان عليك أن تتشبّث أقلّاً بكتبٍ جامعةٍ لصفات الحجّة:

الصفة الأُولى، كونها معلومة النسبة لمصدرها الذي تدعى به.

الثانية، كونها سالمة من تلاعب التحريف والتبديل، ومداومة الأيام والأهواء على إكرامها وتحسينها بالزيادة والنقصان.

الثالثة، أن لا يكون بعضُها شاهداً على بعضِها بالتحريف.

الرابعة، أن لا تكون - بنفسها - شاهدة على أنّ نسختها الوحيدة - في بعض الأزمنة - كانت كتابةَ جاهلٍ لا يعرف الكتابة ومواقع الحروف. بل يقوم ويقع في الغلط الذي يمسخ المعاني مسخاً واضحاً. يظهر عليه زيادة الحرف المغيّر للمعنى ونقصانه، وتبادل الحروف وزيادة الكلمات ونقصانها، وقد فضحها بذلك متّبعوها حرصاً على تدارك فارط الأيام وتقلّبات الأحوال بالتلاعب فيها، فأكرموا وحدتها بأن تداولوها على صورتها المشوّهة وغلطها الفاضح، وصاروا يصحّحون في حاشيتها ما يتّضح غلطه فيها، ثم جاء المترجمون وأعرضوا عن صورتها واتّبعوا في تراجمهم تصحيح الحواشي؛ والذي أوضحته القرائن القطعية - وفي خصوص أسفار التوراة الخمسةِ - من جميع أنواع هذه الأغلاط ما يزيد

على ستّين مورداً[٣٦].

الصفة الخامسة، أن تكون دلالتها على مدّعاك جارية ولو على أضعف الدلالات المتّبعة عند أهل المعرفة واللسان، لا كما نشاهده من بعض المعتوهين في الاحتجاج لهوساتهم بأُمور يزعمون أنّها رموز إلى خيالاتهم.

السادسة، أن لا تكون صراحتها المتكرّرة تناقض مدّعاك.

السابعة، أن لا يكون أئمّة نحلتك وقدوتك من سلفك بين مَن جعل على ما تحتجّ به علامة الشكّ وعدم الوجود في أقدم النسخ وأصحّها، وبين من جاهر بزيادتها على الكتاب وأسقطها منه.

ثم بعد ذلك يلزمك أن تكون من العارفين بلسان كتبك الأصلي، وأوضاع لغاتها، ووضع محاوراتها.

فكيف بك ـ هداك الله ـ وأنت لم يسعفك الحظّ، ولم يؤاتك الوقت بواحدة من هذه الصفات المذكورة؟! وفي هذا كفاية لسقوط احتجاجك بكتبك.

ومع ذلك، فإنّا لا نتجافى عن التعرّض لحججك واحدة واحدة لنرشدك إلى ما فيها من الخطل والفشل، فلعلَّ الله أن يأخذ بيدك إلى الصواب إذا كنت قد جعلت الحقَّ ضالّتك التي تطلبها، فجاهدت في سبيل الله ولم تجمح مع الهوى.

[١٣]فأمّا تشبّثك في احتجاجك على التثليث بدعوى قول

---

(٣٦) أُنظر: الصدر والتمهيد في الجزء الثاني من كتاب «الهدى».

التوراة: *«في البدء: خلق الآلهة .. ودعا الآلهة .. وقال الآلهة»*[٣٧] إلى آخره، حيث جاء لفظه في الأصل العبراني «الهيم» فإنّه تشبّث قد سمعنا غفلته من أوائل الرسالة المنسوبة لعبد المسيح.

وإنّا لو أعرضنا عمّا ذكرناه في التوراة الرائجة من وجوه الوهن والغلط ـ كما أشرنا إليه في الصفات الأربع الأُوَل من السبع ـ لقلنا: يكفي في شطط هذا التشبّث كونه ناشئاً عن الجهل باللسان العبراني!

فلماذا تجهل ـ عافاك الله ـ من كتابك ولغته أنّ مايكون علامة الجمع ـ وهو الميم بعد الياء ـ في آخر الكلمة قد يجيء في أواخر الأعلام المفردة؟! نحو: «موفيم» و «حوفيم» وَلَدا «بنيامين» و «حوشيم» ابن «دان» و «شليم» ابن «نفتالي»[٣٨] و «شحريم» و «حوشيم» امرأته[٣٩].

وقد يجيء في أواخر أسماء الأجناس، كما جاء في الشعير «شعريم» وفي العدس «عدسيم» وفي الكرسنه «كوسميم»[٤٠] وفي الماء «ميم»[٤١] وفي العنب «عنبيم» وفي الرمّان «رمنيم» وفي التين «تانيم»[٤٢] وفي التفّاح «تفوحيم»[٤٣] وفي الزيتون «زيتيم»[٤٤] وفي الكتّان «بستيم»[٤٥] وفي الحنطة

---

(٣٧) تك ١:١ ـ ٣١.

(٣٨) تك ٤٦:٢١ ـ ٢٥.

(٣٩) ١ أي ٨:٨ .

(٤٠) خر ٤:٩.

(٤١) تك ٢٦:٣٢.

(٤٢) عد ١٣:٢٣.

(٤٣) نش ٧:٩.

(٤٤) زك ٤:١٢.

(٤٥) أش ١٩:٩.

«حطيم»[٤٦] إلى غير ذلك ممّا يطول المقام بذكره.

هداك الله. فلماذا لا يكون لفظ «الهيم» في الموارد التي تذكرها علماً مفرداً هو اسمٌ لله جلّ شأنه وإنْ وقعت الميم في آخره كما وقعت في أواخر الأعلام التي ذكرناها؟!

وإنّ كلّ ما رأيناه من التراجم قد ترجمت فيه هذه اللفظة بما هو اسم مفرد عَلَمٌ لله تبارك اسمه في لغة ترجمته، ولم يطرق سمعي ترجمته ـ قبلك ـ بالآلهة إلّا من المنسوب لعبد المسيح، ووجدته في الكتاب المستعار له اسم «الهداية» في الجزء الرابع، صحيفة ٢٥٠.

ويؤيّد العَلَمية أنّ هذه اللفظة ـ في الموارد التي تعنيها ـ لم تقترن في الأصل العبراني بعلامة التعريف في العبرانية، التي هي «الهاء» فلم يقل فيها: «هألهيم» بل يوضّح العَلَمية أنّه قد جاء في التوراة الرائجة العبرانية اسم علم يلحق بالميم مرّة، ويجرّد منها أُخرى.

وذلك كقولها مرّةً: «ابني عناق»[٤٧].

وتارة تقول: «يليدي ها عناق ويلدي ها عناق»[٤٨] أي: أولاد عناق.

وتارة تقول في هذا الموضوع: «بني عناقيم»[٤٩].

ولو كانت لفظة «الهيم» اسم جنس أو جمعاً ـ كما تزعم ـ لَما حسن

---

(٤٦) نش ٣:٧.

(٤٧) عد ٣٣:١٣، و تث ٢:٩.

(٤٨) عد ٢٢:١٣ و٢٨.

(٤٩) تث ٢٨:١، و٢:٩. وأنظر: يش ١٣:١٥ و١٤.

تجريدها من علامة التعريف؛ فانظر كيف يقبح قولك في تعريب التوراة في البدء: خلق إله، أو: خلق آلهة؛ أو: وقال إله، أو: وقال آلهة..وهلمَّ جرّاً.

ولعلّك تقول: إنّ علامة التعريف في العبرانية قد تسقط من اللفظ مع كون التعريف مراداً أو لازماً، وذلك لأجل الاكتفاء بدلالة المقام.

فنقول لك: ومع البناء على ما تقول، لماذا لا يكون لفظ «الهيم» اسم جنس معرّف بتعريف العهد كما تقول: خلق الإله، وقال الإله؟!

فإن قلت: إنّ «الهيم» قد جاء في مقابلة «ال»[٥٠] و«الوه»[٥١] فيدلّ ذلك على أنّ «الهيم» جمع بمعنى الآلهة، و«ال» و«الوه» مفرده.

قلنـا: لا دلالـة في ذلك، فإنّه قد جاء مثله في أسماء الأجناس، فذُكرت الميم وحُذفت والمعنى واحد.

فقد جاء في الحنطة «حطيم» و «حطه»[٥٢] وفي الشعير «شعريم» و«شعره»[٥٣] وفي الماء «ميم» و «مي»[٥٤] وفي التفّاح «تفوحيم» و «تفوح»[٥٥] وفي العنب «عنبيم» و «عنب»[٥٦] وفي الزيتون «زيتيم» و «زيت»[٥٧] وفي الكتّان «بستيم» و «بسته»[٥٨].

---

(٥٠) تث ٦:١٥، و٣٢:٤.

(٥١) أش ٤٤:٨.

(٥٢) تث ٨:٨.

(٥٣) خر ٩:٣١.

(٥٤) عد ٥:١٨ و٢٠ و٢٢ و٢٤.

(٥٥) نش ٢:٣.

(٥٦) تث ٣٢:٤.

(٥٧) خر ٢٧:٢٠، ولا ٢٤:٢.

(٥٨) ١ مل ٧:٢٠.

وممّا يفصح ويوضّح بندائه أنّ «الهيم» في اللغة العبرانية ـ وخصوص التوراة ـ لايختصّ بالجمع، هو أنّ توراتكم استعملت هذا اللفظ في مقامٍ لا تقول أنتَ ولا غيرُك بأنّ المراد منه الجمع، وذلك أنّ توراتكم خاطبت موسى في شأن هارون بقولها: «وأنت تكون له إلهاً . ع واتاه تهيه لولاهيم»[59] وخاطبت موسى أيضاً: «جعلتك إلهاً لفرعون. ع نتيتك الوهيم لفرعه»[60] .. أفتقول أنتَ أو غيرك أنّه قيل «الوهيم» لأنّ موسى جماعة، أو ذو ثلاث أقانيم؟!

وأيضاً يقول كتابكم: إنّ شاول طلب من صاحبة الجانّ أن تصعد له صموئيل النبي ورأته واضطربت.

وقال لها شاول: ماذا رأيتِ؟

قالت ـ ما لفظه بالعبراني ـ: «الهيم رائيتي عليم من هأرص »[61].

فلم يحتمل شاول أنّهم جماعة، بل عرف من المحاورة المتعارفة في العبرانية أنّها عنت واحداً، ولذا قال لها: ما صورته؟

فقالت: «رجل شيخ صاعد وهو مغطّىً بجبّة».

فعُلم من ذلك أنّ المتعارف في المحاروات العبرانية أنّ لفظ «إلٰه» يلحقون الميم به وبوصفه، مع أنّهم لا يريدون ولا يفهمون منه في محاوراتهم إلّا الواحد المفرد، بحيث لا يخفى ذلك على السامع ولا يحتمل الجمع، ولا علينا أن نقول: إنّ إلحاق الميم هٰهنا للتعظيم أو لغيره.

---

(59) خر ٤:١٦.

(60) خر ٧:١.

(61) ١ صم ٢٨:١٣ و١٤.

فإن قلتَ: إنّ لفظ «الـوهيم» قد استعمـل في اللغة العبرانية ـ وخصوص التوراة ـ بالجمع أيضاً، فهو لا يعدو أن يكون مشتركاً بين الواحد والجمع.

قلت: إذن لهفي عليك وعلى إدراكك البشري، إذ صرت تحتجّ في دينـك ومعـرفتـك بإلـٰهك بلفظ مشترك، وتتشبّث به لهذه الدعوى التي يستهزىء بها العقل، ويطردها الوجدان، ويجرّها الامتناع إليه من تلابيبها.

[١٤]وأمّا تشبّثك بقول توراتكم: «وقال الإلٰه: نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا.. الإنسان صار كواحدٍ منّا .. تعالوا ننزل ونبلبل هناك لسانهم».

فقد أبيتَ فيه إلّا أن تواسي المتسمّي بعبد المسيح في أوهامه أو تجاهله في تشبّثه بقول الأصل العبراني «نعسه آدام» وغفلته أو تغافله عن أنّ توراتكم العبرانية ـ زيادة على ما أشرنا إليه من غلطها في الكتابة ـ قد تفـاحش فيهـا الاضطراب في شأن الضمائر، إفراداً وجمعاً، وتذكيراً وتأنيثاً، وكم حذفتْ هاء التأنيث في المؤنّث! وكم أبدلتْ حرفاً بحرف! وكم زادت ونقّصت في الحـروف! وزادت كلمـة برأسهـا كما فضحها بذلك الحواشي ومراغمة التراجم بالمخالفة لأصلها.

كما كثر اضطرابها في شأن الفعل وهيئته، فتارة تقول فيما تعريبه: «ارتحلوا ويرتحلون»: «يسعو» بالياء[٦٢] وتارة تقول: «نسعو» بالنون[٦٣].

(٦٢) أُنظر أقلّاً: عد ٩:١٧ ـ ٢٠.

(٦٣) عد ٩:٢١، و١٠:١٨ و٢١.

وذكـــرت اسم واحـــد من أولاد شمعـــون بن يعقـوب، تارةً «يموئيل»[٦٤] بالياء في أوله، وتارة أُخرى «نموئيل»[٦٥] بالنون بدل الياء.

وتارة تقول في «أعطى» للماضي الغائب المفرد «يتّن»[٦٦] بالياء، وتارة تقول فيه «نتن»[٦٧] بالنون.

وتارة تقول في «أخرَجَ» للماضي المتعدّي «يوصا»[٦٨]، وتارة تقول ذلك في «أخْرُجُ»[٦٩] للمتكلّم، وتقول فيه أيضاً «اصا»[٧٠].

وتقـول في «ظَهَـرَ» للماضي «يرأ»[٧١] بالياء، وتقـول فيه أيضـاً «نرأه»[٧٢] بالنون وزيادة الهاء.

وتقول في «تَكُون» للغائبة «تهي»[٧٣] بالتاء «وهايتاه»[٧٤] و«نهايتاه»[٧٥].

وتقول في «حلف» للمفرد المذكّر «يشبع»[٧٦] بالياء و«نشبع»[٧٧] بالنون.

وتقول في «حلفتُ» المسند إلى المتكلّم المفرد «نشبعتي»[٧٨]، وفي

(٦٤) تك ٤٦:١٠، وخر ٦:١٥.

(٦٥) عد ٢٦:١٢.

(٦٦ و٦٧ و٦٨) تك ٢٤: ٥٣.

(٦٩) خر ٨:٢٥، و١١:٤.

(٧٠) خر ١١:٨.

(٧١ و٧٢) خر ٣:٢ و١٦.

(٧٣) تك: ٢:١٢.

(٧٤ و٧٥) خر ١١:٦.

(٧٦ و٧٧) لا ٥:٢٢ و١٤.

(٧٨) تك ٢٢:١٦، و٢٦:٣.

«أعطيتُ» كذلك «نتّيتي»[٧٩] بالنون في أوّلها.

وأمثال ذلك كثير جدّاً في التوراة والعهد القديم وإن اقتصرنا على بعض مواردها.

فلماذا لا تكون النون في «نعسه» كهذه النونات، في عدم الدلالة على إرادة غير المفرد، بل جيء بها كغيرها مِمّا ذكرناه؟!.

ويطّرد أيضاً في التوراة واللغة العبرانية مجيء النون في أول الفعل المبنيّ للمجهول المسند إلى المفرد الغائب، ويؤتى بالنون في أوله علامةً للبنـاء للمجهول، فمن أمثلته في التوراة: «تقُطَع: نكرتاه»[٨٠] و«يُحرَق: نأكل»[٨١] و «يُقدَم: نقرب»[٨٢] و «يُكسَر: نشبر»[٨٣] و «يُنَهب: نشبّاه»[٨٤] و«تُفدى:نفداتاه»[٨٥] و«يُباع: نمكّر»[٨٦] و «يبقى: نوتر»[٨٧].

وهذه الموارد وإن ترجمت في العربية بالفعل الماضي، لكنّ صيغتها في العبرانية صيغة الفعل المضارع، فإنّ العادة فيها أن تعبّر عن الماضي الواقع بعد الواو بصيغة المضارع، وعلى هذا فإنّ كلمة «نعسه» هي فعل مضارع مبنيٌّ للمجهول، ترجمته «يُصْنَع».

كما ذَكرت التوراة أنّ الله جلّ اسمه قال في إنشاء خلق السماوات

---

(٧٩) تك ٤:٢٦، وقض ١:١٢.

(٨٠) خر ١٢:١٩.

(٨١ ـ ٨٤) خر ٢٢:٥ و٦ و ٩.

(٨٥) لا ١٩:٣٠.

(٨٦) لا ٢٥:٣٩.

(٨٧) خر ١٠:١٥، وعد ٢٦:٦٥.

وما فيها وما في الأرض : «يهي: يكون. ويقاوو: تجتمع. وتد شاء: تنبت»[88] فكان كما قال جلّ اسمه.

ويدلّ على أنّ كلمة «نعسه» هي فعل مبنيٌّ للمجهول، وأنّ «آدم» نائب الفاعل، هو أنّه لو كانت كلمة «نعسه» فعلًا مبنياً للفاعل و «آدم» مفعولاً لقيل: «نعسه ات آدم» لأنّ لفظة «ات» لازمة في اللغة العبرانية للمفعول به، ولا تذكر مع نائب الفاعل، فكان عدمها هٰهنا حجّة قاطعة من اللغة العبرانية على أنّ «نعسه» فعل مبنيٌّ للمجهول، و «آدم» نائب الفاعل لا مفعول.

وأيضاً، فإنّ اعتمادك في ترجمة توراتك بقولك: «على صورتنا كشبهنا» فليس إلّا على قول الأصل العبراني «بصلمنو كد موتنو» وهو اعتمادٌ واهٍ، وتشبّث سخيف، يَعرف سخافته كلُّ من وقف على الغلط الفاحش في الأصل العبراني مِمّا نبّهتْ عليه الحواشي والتراجم وزيادة، وكلُّ مَن وقف على الهرج والمرج القائم في أمر النون في أواخر الكلمات، فقد ذكرتْ اسمًا في آخره نون، وحذفتهْا عند النسبة إليه وهو «نعمان ونعمي»[89] وكم عكستْ فزادتْ النون عند النسبة إلى ما لا نون فيه نحو «ادموني»[90] للأحمر، مِن: ادوم؛ ونحو «شلاه وشلاني»[91] وتقول في كلمة

---

(٨٨) أنظر: تك ١:٣ ـ ١١.

(٨٩) عد ٢٦:٤٠.

(٩٠) تك ٢٥:٢٥.

(٩١) عد ٢٦:٢٠.

«بعد: عود»[٩٢] «وبعدك: عودك»[٩٣] وفي «بعده: عودنو»[٩٤] وفي «تحت - أي عوض ـ: تحتنه»[٩٥] أي عوضها ، وفي «تُفتح و تنفتح : وتفقحو وتفقحنه»[٩٦].

وقالت التوارة أيضاً في الوثن الذي سمّته «توعباه» أي قبيحاً أو رجساً «شقص تشقصنو وتعب تتعبنو»[٩٧] أي بغضاً تبغضه وكراهة تكرهه؛ فسبيل النون في قولها: «بصلمنو كد موتنو» كسبيلها في الموارد المذكورة وأمثالها الكثير جدّاً، من حيث الغلط في الكتابة أو التوسّع في اللغة.

فإن قلتَ: إنّ النـون في مثـل «عودنو وتشقصنو» عليها علامة التشديد بخلاف النون في «بصلمنو كد موتنو».

قلنا: إنّ علامات التشديد والحركات والسكون لم توضع في الكتابة العبرانية إلاّ في مدرسة طبريا التي أُنشئت في قرن المسيح عليه السلام أو بعده، فعلامة التشديد ونحوه لم تكن في كتب اليهود قبل ذلك العصر، بل وإلى الآن لا توجد في التوراة التي يكتبونها ويقدّسونها للتلاوة في معابدهم.

فإن قلتَ: إنّ قرينة المقام تعيّن موارد التشديد من غيرها.

قلتُ: وأيّ قرينة إذن أوضح من توحيد الله جلّ شأنه وتنزّهه عن

---

(٩٢) تك ٤٥:٣.

(٩٣) تك ٤٦:٣٠.

(٩٤) تك ٤٣:٢٧ و٢٨.

(٩٥) تك ٢:٢١.

(٩٦) تك ٣:٧.

(٩٧) تث ٧:٢٦.

الصـورة والشبيه كما صادقت على ذلك صراحةالعهد القديم المتكرّرة حيث قال: «من يشبِّه الربَّ بأبناء الله»[98]، «بمن تشبّهون الله وأيّ شبيه تعادلون به. وبمن شبّهوني وأُساويه، يقول القدّوس. وبمن تشبّهونني وتساووا وتمثّلونني فنتشابه»[99].

وإن كنتَ تجنح لصحّة التوراة الرائجة فعليك أن تفسّر ما يوهم التشبيه، وتقول: إنّ الإنسان بصورته ومثاله خلقه الله، وعلى صورةٍ ومثالٍ خلقه الله ذكراً وأُنثى ولم يخلقه روحاً مجرّدة.. وإنّ العهدين ـ وخصوص التوراة ـ لتنوّه صراحتها المكرَّرة بوحدة الإٰله. فلماذا تحمل مشتبهات ألفـاظها وأغلاطها على التعدّد الذي يشمئزّ العقل والفطرة من فرض إمكانه؟! ومن لا يرضى بالعقل فيصلاً في معرفة الإٰله كيف تُقبل منه في أوهامه هذه الأغاليط المتضاعفة والغفلات المتراكمة؟!

[١٥]وأمّا قول توراتك: «الإنسان صار كواحد منّا».

فلسنا نحتاج في إبطاله إلى أن نذكّرك بما ذكرناه إجمالاً من حال توراتكم، وخصوص هرجها ومرجها في الغلط والاضطراب بالضمائر والحروف.

بل يكفي في سخافته كونه كلام متحسِّر مقهور نادم مغبون، يمكن أن تستلب منه صفاته الخاصة بالقهر والاختلاس، إلّا أنْ يتحذّر عمّا يأتي ويحامي عن حوزة استبداده بإعمال التدابير اللازمة.

بل مقتضاه مع الكلام السابق أنّ آدم قد تمّ له دست الألوهيّة،

---

(٩٨) مز ٨٩:٦.

(٩٩) أش ٤٠:١٨ و٢٥، و٤٦:٥.

حيث كان على صورة الآلهة، ثم صار كواحد منهم، ولايضرّ كونه مغلوباً بالإخراج من الجنّة، فإنّه كان غالباً بصيرورته كواحد من الآلهة، ولا يضرّ أيضاً كونه يموت، فإنّكم تقولون: إنّ أُقنوم الابن قد صلب ومات ودفن!

ثم التفِت ـ عافاك الله ـ إلى قول توراتكم: «إنّ الله خلق آدم على صورته وشبهه» وما هي تلك الصورة؟! ولا تقدر أن تقول هي صفة المعرفة، لأنّ ذلك كان قبل أن يصير عارفاً بالخير والشرّ!

[١٦]وأمّا قول توراتكم ـ التي شرحنا حالها ـ: «هلمّ ننزل ونبلبل.. إلى آخره».

فهو قول من لم يفهم من صراحة توراتكم معناها السخيف؛ فإنّها قالت قبل ذلك: «فنزل الربّ لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونها، وقال الربّ: هو ذا شعب واحد، ولسان واحد لجميعهم، وهذا ابتداؤهم بالعمل، والآن لا يمتنع عليهم كلّ ما ينوون أن يعملوه، هلمّ ننزل ونبلبل.. إلى آخره» وحاصل هذه الخرافة هو أنّ الله القادر يقول جلّ شأنه: إنّ بناءهم لهذا الاستحكام يؤول إلى استقلال هذه الرعيّة، فلا بُدّ من تدارك هذا الأمر قبل أن يحدث مالا يمكن دفعه، وفي ذلك الحال قال: «هلمّ ننزل» فلا بُدّ أن يكون قد طلب النزول ممّن لم ينزل معه.

فإن زعمت أنّ ذلك طلبٌ لنزول الأُقنومين اللذين بقيا في السماء ولم ينزلا معه.

قلنا: سامحناك في سخافة هذا الزعم، ولكنّه دعوى بلا شاهد، ولو بمثل سخافتها! ولماذا لايكون طلباً لنزول جند السماء وروح الكذب؟! كما ذكرت كتب إلهامكم في تاريخ «اخاب» ملك إسرائيل، أنّ الربّ كان

جالساً على كرسيّه وكلّ جند السماء وقوفٌ عن يمينه ويساره فاستشارهم فيمن يغوي «اخاب» فتفاوضوا في المشورة، وقال هذا: هكذا، وقال هذا: هكذا، إلى أن توفّق روح الكذب للرأي السديد، ففوّض إليه العمل لأجل اقتداره، ولكنّ «ميخا» النبي أفشى سرّ هذه المشورة، وكاد أن يبطل تدبير الـربّ وروح الكذب فيها. فراجع: الملوك الأول٢٢: ١٩ ـ ٢٣، والأيام الثاني ١٨: ١٨ ـ ٢٢ ، وافرح بعناية الوحي بتكرار هذه الخرافة، وأظنّ متّبعيه يحسبونها تمجيداً لله!!

[١٧]وأمّا قولك: «ودانيال يخبرنا في كتابه أنّ الله قال لبخت نصر: لك نقول يا بخت نصر».

فإنّه كلام اتّبعتَ فيه غفلة المدعوّ بعبد المسيح، فإنّ الذي تنسبه لدانيال إنّـما نصّـه في الأصـل العـبراني «لك آمرين نبوخذ نصر، لك طاردين» والتراجم العربية والفارسية مِمّا عندي قد ترجمت ذلك بقولها: «لـك يقولون» أو «لك يقال» أو «لك قيل» مع أنّها اتّفقت على ترجمة «طاردين» بيطردونك[١٠٠].

[١٨]وأمّا قولك: «إنّ التوراة تقول في مقام آخر: إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب؛ فكرّرت لفظ الجلالة ثلاث مرّات تفصيلًا للجمع المتقدّم، وإشارة إلى أنّ في هذا الموضع سرّاً وهو أنّ الله واحد ذو ثلاثة أقانيم، فثلاثة أقانيم إله واحد، وإله واحد ثلاثة أقانيم، فأيّ دليل أوضح، وأيّ نور أضوأ من هذا».

---

(١٠٠) أنظر: دا ٤: ٣١ و٣٢.

فإنّه قول اتّبعت فيه المدعوّ بعبد المسيح، وليتك راجعت الأصل العبراني وتتبّعت توراتكم لكي تسلم ـ أقلّاً ـ من سوء الاتّباع والخطل في النقل.

عافـاك الله، فكم يوقعـك الاتّبـاع للسلف في المهـاوي، فإنّ احتجاجك هذا لو سامحناك في جميع مقدّماته ـ التي نسأل الله أن يعافي من وبالها كلّ من لم يعاند الله بالشرك ـ لكانت نتيجتها الشوهاء: إمّا تربيع الأقـانيم، أو مذهب المجوس في التثنية؛ فإنّ الذي في الأصل العبراني هكذا تعريبه. «إلٰه آبائك إلٰه إبراهيم إلٰه إسحاق وإلٰه يعقوب»[١٠١].

فإنّك إن تشبّثت بتكرار لفظ الجلالة فقد تكرّر أربع مرّات، وإن اعتمدت على المغايرة بالعطف بالوار فليس في المقام إلّا عطف واحد؛ أفتقول: إنّ الإلٰه أربعة؟! أحدهم إلٰه الآباء خاصة، وثانيهم إلٰه إبراهيم خاصة، وثالثهم إلٰه إسحاق خاصة، ورابعهم إلٰه يعقوب خاصة، واختصّ بالعـطف بالواو لأجل امتيازه عن الآخرين، فتقول: إنّه امتاز عنهم بمصارعته ليعقوب[١٠٢] وبمؤاتاته له في أخذ البركة من إسحاق بالخديعة والكذب[١٠٣]!

أم تقول: إنّ المتكرّر بلا عطف هو واحد، والمعطوف هو ثانٍ كقول المجوس.. وإنّ المجوسيَّ ليأخذك بمثل شطط حجّتك، ويقول لك: إنّ توراتكم تقول «الهيم» وإنّ لغتها لا تميّز بين التثنية والجمع، وقد بيّنت هذا

---

(١٠١) خر ٣: ٦ و١٥، و٤: ٥.

(١٠٢) تك ٣٢: ٢٤ ـ ٣٢.

(١٠٣) تك ٢٧: ١٤ ـ ٤٠.

المجمل بالعطف، وقالت أيضاً: إله إبراهيم وإله إسحاق[١٠٤] فالعطف في المقامين دليل الإثنينيّة، ثم يتحمّس عليك ويقول لك مثل قولك: أيّ دليل أوضح وأيّ نور أضوأ من هذا؟! وإنّها لظلمات بعضها فوق بعض.

[١٩]وأمّا احتجاجك بقول توراتكم في شأن إبراهيم: «وظهر له الربّ عند بلّوطات (ممرا) وهو جالس في باب الخيمة، فرفع عينيه ونظر، وإذا ثلاث رجال واقفون لديه، فلمّا نظر ركض لاستقبالهم وسجد إلى الأرض، وقال: ياسيّد، إنْ كنت وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك».

فإنّ اتّباعك لغفلة المدعوّ بعبد المسيح قد أغفلك عن التدبّر في محاورات توراتكم التي عرفتَ حالها، فإنّها كثيراً ما تسمّي الملاك بالله والربّ، جهلاً من كاتبها، الذي استعار لها اسم التوراة الحقيقية، أو لأنّه قد دفعه إلى ذلك طوايا الوثنية وعبادة جند السماء!

أفلا تراها بينما تكرّر أنّ الربّ يسير أمام بني إسرائيل[١٠٥] إذ تقول: إنّ السائر هو ملاك الربّ[١٠٦] وتقول: إنّ الذي ظهر لموسى في عليقة النار هو ملاك الربّ[١٠٧]؟! كما صرّح به استفانوسكم الذي تقولون: إنّه ممتلئ من الروح القدس !

---

(١٠٤) تك ٢٨:١٣.

(١٠٥) خر ١٣:٢١، و١٤: ٣٤، وعد ١٤:١٤، وتث ١:٣٢ مع ٣٣.

(١٠٦) خر ١٤:١٩، وعد ٢٠: ١٦.

(١٠٧) خر ٣:٢.

ثم تقول: إنّ الذي ظهر هو الربّ الإله[١٠٨] وإنّها تقول: إنّ الذي كلّم موسى هو الله[١٠٩] واستفانوسكم يقول: إنّ الملاك الذي كان سائراً مع موسى في البرّيّة هو الذي كان يكلّمه في جبل سينا[١١٠].

وإنّ سفر القضاة قد نسب إلى ملاك الربّ ما نسبته التوراة إلى الله جلّ اسمه، ففيه: «وصعد ملاك الربّ من الجلجال إلى (بوكيم) وقال: قد أصعدتكم من مصر، وأتيت بكم إلى الأرض التي أقسمت لآبائكم وقلت: لا أنكث عهدي معكم إلى الأبد، وأنتم فلا تقطعوا عهداً مع سكّان هذه الأرض، اهدموا مذابحهم، فلا تسمعوا لصوتي، فماذا عملتم، فقلت: لا أطردهم من أمامكم، بل يكونون لكم وتكون آلهتهم لكم شركاً، وكان لمّا تكلّم ملاك الربّ بهذا الكلام»[١١١].

ثم قل ـ هداك الله وعافاك ـ: ما صورة احتجاجك بقصة إبراهيم؟! أتقول ـ عافاك الله ـ: إنّ إبراهيم كان عارفاً بأنّ الرجال الثلاثة كانوا أقانيم الإله الواحد، ولذلك خاطبهم خطاب الواحد، لأجل أنّهم وإنْ كانوا ثلاثةً فهم واحدٌ حقيقةً؛ ومن أجل هذه المعرفة دعاهم إلى الضيافة ليغسلوا أرجلهم، ويتّكئوا تحت الشجرة، ويسندوا قلوبهم بكسرة خبز، فعمل لهم ثلاث كيلات خبز ملةً وعجلاً سميناً وزبداً ولبناً ووضعها قدّامهم فأكلوا؟!

---

(١٠٨) خر ٣:١٦.

(١٠٩) وهو كثير في التوراة، وعليه مدارها؛ فانظر: خر ٣:٤ و١١، و ٤:١٠، وعد ١٢:٨.

(١١٠) أع ٧:٣٨.

(١١١) قض ٢:١ ـ ٥.

عافاك الله، أفتدعوني إلى عبادة مثل هذه الآلهة؟! أفهذا إنصافك؟! وقد عهدنا من بعض السكارى المنصفين أنّهم ـ في حال سكرهم ـ يعظون من يشفقون عليه، ويمنعونه عن السكر معهم، ويقولون له: إنّا قد ابتلينا بشرب هذا المنحوس، ولا تدعنا العادة الوخيمة أن نتركه، فلا تبتلِ بسفاهتنا!

أم تقول: إنّ إبراهيم لم يكن عارفاً بأنّهم أقانيم الإلٰه الواحد، ولكنّ اتّفاق هذه الواقعة في تعدّد الرجال ووحدة الخطاب يشير إلى تثليث الأقانيم؟!

قلنا: وحاصل ما تقول إذن أنّ وحدة الخطاب مع تعدّد الرجال كان غلطاً، ولكنّه يشير إلى تثليث أقانيم الإلٰه الواحد، فبخ بخٍ لك في هذه الحجّة، وهل يناسب الغلط أنّ يحتجّ له بغير الغلط؟!

ولكنّ المجوسِيّ يحتجّ عليك بأقوى من حجّتك ويقول: إنّ هذا الغلط الاتّفاقي لا يصلح حجّة، ولكنّ الحجّة هو الغلط اللازم في المرض المزمن، وهو كون الأحول يرى الواحد إثنين متماثلين، وفيه إشارة إلى أنّ الإلٰه الذي يعتبره الموحّدون واحداً إنّما هو إثنان!

ثم يجيء الوثني ويقول للمثلّث والمثنّي: لا ينبغي أن يحتجّ لمثل هذه المعرفة بالغلط، بل إنّ التوراة كثيراً ما خاطبت الأُلوف من بني إسرائيل بخطاب الواحد، وإنّ طبيعة العين تقتضي أن ترى الأُلوف المتعدّدة ـ من بعيد ـ شبحاً واحداً، وفي هذا كلّه إشارة إلى أنّ الإلٰه الذي يعتبره الموحّدون واحداً إنّما هو أُلوف من الأوثان!

عافاك الله، وليس للموحِّد حينئذٍ إلّا أن يوقفه العجب موقف

الحيرة، لايدري أيضحك أم يبكي!؟

[٢٠]*وأمّا قولك: «قال داود: بكلمة الله صنعت السماوات، وبروح فيه كلّ جنودها (مز٣٣:٦). فذكر الله وكلمته وروحه. الأقانيم الثلاثة»*.

فلم تَعْدُ فيه أن تكون تابعاً لغفلة المدعوّ بعبد المسيح، أفلم تنظر في المزمور الذي تذكره لكي ترى فيه قوله: «*في خلق الله للسماوات وجنودها* (٩) *لأنّه قال، فكان هو أمر فصار*» ؟! وفي المزامير أيضاً: «*لتسبّح اسم الربّ، لأنّه أمر فخلقت*»[١١٢].

ألم تسمع من إنجيلكم نقله عن قول المسيح: «*إنّه مكتوب: ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكلّ كلمة تخرج من فم الله*»[١١٣] وأُشير بالمكتوب إلى قول التوراة ذلك مع زيادة في النقل، فإنَّ نصَّ الذي في التوراة «*بل بما يخرج من فم الله*»[١١٤].

أفلم تعلم من ذلك أنّ المراد بالكلمة هو فيض الله على العالم بالتكوين والتعليم والتشريع، فقيل عن الفيض : إنّه كلمة.. وأمر.. وليكن.. وكلمة تخرج من فم الله.. وريح فمه، أو روح فمه؛ أفلا تفهم من قوله: «ريح فمه» أو «روح فمه» أنّه كناية عن الفيض والمشيئة التكوينية التي يعبّر عنها بكن.. ولتكن.. وكلمة، كما تذكر التوراة خلق الأشياء بقوله جلّ اسمه: «يهي» أي: لتكن.

عافاك الله، وقد موّه قبلك عبد المسيح فأخبر جازماً بأنّ الذي في

---

(١١٢) مز ١٤٨:٥.

(١١٣) مت ٤:٤، ولو ٤:٤.

(١١٤) تث ٨:٣.

المزامير: «وروح فمه» مع أنّ اللفظ العبراني يحتمل معنى الريح، كما هو الأنسب، وفسّره مترجموكم بالنسمة، فانظر الأصل العبراني تك ٣:٨، وخر ١٤:٢١، وعد ١١:٣١.

والحاصل أنّ كلمة الله، وريح فمه، ونسمة فمه، بل وروح فمه، هذه كلها كناية عن مشيئة الله التي بها أُوجِدَت السماوات وكلّ جنودها.

[٢١]وأمّا حجّتك بقول المزامير: «لكلمة الله أُسبّح».

فإنّك اتّبعت فيه عبد المسيح، وهو غير مُعتمَد في نقله، ولم نجد هذا المنقول على الاستعجال في المزامير لننظر فيه!

ولكنّا نقول: هبه صَدَقَ في النقل، وهبنا أغمضنا عن مشاركة المزامير للتوراة في وجوه الخلل التي ذكرناها، فإنّا يكفينا في جهالته في حجّته أنّه جاء في المزامير: «في كلّ يوم أُباركك وأُسبّح اسمك.. دور إلى دور يسبّح أعمالك وبجبروتك يخبرون»[١١٥].

فهل تقول: إنّ اسم الله هو الأقنوم الرابع؟! وإنّ أعمال الله أقانيم لا تحصى، وهي الله؟! أم لم تدر بأنّه يوجد مثل هذا في المزامير؟!!

[٢٢]وأمّا احتجاجك بقول المزامير أيضاً: «تبارك الله إلهنا، تبارك الله يوماً فيوماً، يسهّله الله علينا».

فقد سمعناه قبلك من المدعوّ بعبد المسيح، ولم نجد لمنقولكما في المزامير عيناً ولا أثراً يشبّه به إلّا قولها: «مبارك السيّد يوماً فيوماً، يحمّلنا إله خلاصنا، الله لنا إله خلاص » وكيف كان، فخرافة هذا الاحتجاج

---

(١١٥) مر ١٤٥:٢ و٤.

تقتضي تكثير الآلهة والأقانيم حسب ما يتكرّر في المزامير! وماذا تقول لمن يحتجّ عليك بأنّ المزامير قد تَكَرَّر فيها لفظ الجلالة أكثر من ألف مرّة؟!!

[٢٣]وأمّا احتجاجك بالقول المنسوب لأشعيا: «والآن السيّد الربّ أرسلني وروحه».

فلماذا غفلت فيه، كالمدعوّ بعبد المسيح، أو تغافلتما عن أنّ روح الربّ هو الملاك الذي يكلّم الأنبياء ويكون واسطة في إرسالهم؟! حتى أنّ التوراة الرائجة تسمّيه الله والربّ، كما ذكرناه عن التوراة واستفانوسكم في شأن الذي كلّم موسى وظهر له وسار معه.

[٢٤]وأمّا احتجاجك بما يذكره إنجيلكم عن قول المسيح: «وعمّدوهم باسم الأب والابن والروح القدس».

فلو صحّت الأحلام في الأناجيل الرائجة لقلنا: إنّ المعنى عمّدوهم باسم الإله، واسم النبيّ العبد الصالح صاحب الدعوة ومبلّغ الرسالة، واسم الروح القدس الملَك المتوسّط بين الله ورسله في الوحي.. ليعترفوا بالإله الواحد، ويصدّقوا برسالة النبي ووحيه بواسطة الروح القدس، فإنّ الابن في اصطلاح العهدين هو الموحّد والمؤمن كما سمّت التوراة بني إسرائيل بالابن البكر[١١٦] وقال الإنجيل: «لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات»[١١٧].

ويمقتضى احتجاجاتك هذه الأربع أنّك لا بُدّ لك من تربيع

---

(١١٦) خر ٤:٢٢ و٢٣.

(١١٧) مت ٥:٤٥.

الأقانيم أقلّاً! لأنّ كتابكم يقول: «إنّ الله محبّه»[118]، فلماذا لا تعدّ ذلك أقنوماً رابعاً؟! بل عليك أن تخمّس الأقانيم، لأنّه قد تكرّر ذلك! بل عليك - في سخافة هذه الحجج المضحكة - أن تزيد في عدد الآلهة والأقانيم كلّما تنظر في كتبكم.

[٢٥] وأمّا قولك: «وقال الكتاب المقدّس: فإنّ الّذين يشهدون في السماء هم ثلاثة، الأب والكلمة والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد».

فقد غشّتك فيه أمانيّك، وغالطك - عافاك الله - هواك، ولئن كنت لا تدري فإنّا ندري بأنّ العهد الجديد الذي هو كملكيْ صاروق[119] بلا أب، بلا أمّ، بلا نسب، لا بداية أيّامٍ معلومة له، ولا نهاية وقوفٍ لتقلّبه، لطالما يقيء هذه الفقرة ثم يوجرها العناد في حلقه، وأنّ الكثير من أسلافك وقدوتك ومصلحيك قد أنكر هذه الفقرة فأُسقطت حتى في التراجم المطبوعة في هذا الدور! وأنّ أكثر المطبوعات تجعلها بين الخطّين الهلاليّين اللذين هما علامة الشكّ فيها وعدم وجودها في أقدم النسخ وأصحّها.

[٢٦] وأمّا قولك: «وأمّا ألوهيّة المسيح فلا ينبغي بعد هذا أن يرتاب فيها ذو عقل».

فلهفي عليك فيه من غفلتك عمّا شرحنا لك فيما أشرت إليه:

---

(١١٨) ١ يو ٤:٨ و١٦.

(١١٩) عب ٧:٣.

فإنْ كنتَ لا تدري فتلكَ مصيبةٌ وإنْ كنتَ تدري فالمصيبةُ أعظمُ(١٢٠)

عافاك الله، إنّ أناجيلك هي التي تذكر في شأن المسيح ما لا يكون إلّا من عبد مخلوق، حادث، فقير، ضعيف، لايقدر على شيء إلّا بإقدار الله، ولا يعلم ما يعلمه الله؛ ولم يتخلّص من غواية الشيطان، وتصرّفه به، وطمعه في تكفيره إلّا بعد اللتيّا والتي.

[٢٧]وأمّا قولك: «إنّ المسيح ذاته قد كشف القناع عن ذلك باحتجاجه على اليهود في قوله لهم له المجد: أليس مكتوباً في ناموسكم، أنا قلت: إنّكم آلهة. إن قال آلهة لأُولئك الّذين صارت إليهم كلمة الله ولا يمكن أن ينقض المكتوب. فالذي قدّسه الأب وأرسله إلى العالم أتقولون له: إنّك تجدّف، لأنّي قلت: إنّي ابن الله».

فقد كنت أظنّ أنّ ذا الفطنة منكم يستر هذا على كتابه، أفَلستَ ترى هذا القول يجاهر بتعدّد الآلهة الكثيرة على خلاف ما تقوله التوراة، بل وجميع كتبكم؟! ولا أبهظك بذكر العقل الذي تضجر من اسمه وحكمه.

وزيادةً على هذا، إنّ هذا المحتجّ ـ وحاشا المسيح من ذلك ـ لم يفهم ما في المزمور الثاني والثمانين فلم يفهم أنّه مسوق للإنكار والتوبيخ، وإلّا كان من أقبح الشرك؛ ومع سوء الفهم لم يأت بشيء في حجّته المضحكة أو المبكية! فإنّه بعد أن وقع في أقبح ما يكون من سوء الفهم، والشرك، ونسبته إلى الوحي، لم يُثبِت للمسيح إلّا كونه ابن الله، وكتبكم

---

(١٢٠) (م).

قد سمّت بذلك حتّى فسّاق بني إسرائيل!

وبهـذا تعرف ما في تشبّثك بقول إنجيلكم: «إنّه جاء صوت من السماء: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت» فإنّه على سخافة مستنده لا يدلّ ـ باصطلاح العهدين ـ إلّا على أنّه مؤمن محبوب، ولكنّه لا يلبغ فضل الابن البكر، وهم بنو إسرائيل!

[٢٨]وأمّا قولك: «إنّ وحي بولس أوضح الحجّة إذ قال ـ لِمَنْ مِنَ الملائكة قال قطّ: أنت ابني، أنا اليوم ولدتك ـ: وأيضاً أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً».

فنقول فيه: إنّ هذا الوحي انتهب نهاراً جهاراً وهو يحسب أنّه اختلس ليلًا، فإنّ الفقرة الأُولى قد جاءت في المزمور الثاني وهي لاتنطبق على المسيح، لأنّ ولادته بأيّ نحو كانت لم تكن في اليوم الذي كتب فيه هذا المزمور، أو أُوحي على زعمكم، لأنّ ولادات المسيح عندكم دائرة بين الولادة الأزليّة، أو الولادة الكائنة في بيت لحم، أو التي عند اعتماده من يوحنّا بعد ثلاثين سنة من عمره الشريف!

وأمّا الفقرة الثانية، فإنّ كتابكم صريح بأنّها مقولة في سليمان بن داود[١٢١].

وقال بعض الظرفاء: ما أشأم التسمية بالابن على التوحيد، فقد سمّت التوراة الرائجة بني إسرائيل بالابن البكر، فكان منهم ما كان مِن تقلّبهم في الشرك، وتمرّدهم على التوحيد، من يوم عبادة العجل إلى سبي

---

(١٢١) ١ أي ٢٢:٩ و١٠، و٢ صم ١٢:٧ ـ ١٦.

بابل.

وسمّى «صموئيل الثاني» و«الأيام الأوّل» سليمانَ بالابن، وقد ذكر «الملوك الأول» أنّ سليمانَ ـ وحاشاه ـ مال قلبه وراء آلهة أُخرى، وذهب وراء عشتاروت آلهة الصيدونيّين، وملكوم رجس العمونيّين، وبنى مرتفعة لكموش رجس الموابيّين ولمولك رجس بني عمون؛ أي بنى مشعراً لعبادة هذين الصنمين وذلك عبادةً لهما.

وسمّت الأناجيلُ المسيحَ بالابن، فجاء الناس من ذلك بداهية التثليث، فصار المنادون يهتفون بنعي الإله ليبشّروا بالفداء والتفلّت من الشريعة.

[٢٩]وأمّا تشبّثك بقولك: «وإن شئت التثبّت في الاستيضاح فراجع المثل الذي ضربه المسيح بغارس الكرم، إذ أرسل إلى الكرّامين عبيده ثم ابنه من بعدهم».

فقد سمعنا بذلك قبلك عن أناستاس الكرملي نزيل بغدادحالاً،

فراجعنا المثل ـ عافاك الله ـ وإنّه لو صحّت الأحلام بنسبته للمسيح لَما كان فيه إلّا التمثيل لإرسال الأقرب منزلةً بعد مَن هو دونه، ولا ينكر أنّ المسيح أقرب منزلة إلى الله مِمّا عدا موسى من أنبياء بني إسرائيل الّذين هم من أتباع موسى.

وإنّ الالتزام بالمطابقة بين المثل والممثّل له في جميع الخصوصيات المذكورة في المثل ليفضي إلى أقبح الكفر، فإنّ المثل يقول: إنّ غارس الكرم سافر، ويقول: إنّه غرّته الأوهام، وقال في عَمَلة الكرم: إنّهم يهابون ابني،فخاب ظنّه وضلّ رأيه فلم يهابوا ابنه! أفتقول ذلك في الله جلّ شأنه؟!

[٣٠]وأمّا تشبّثك بأنّ «المسيح طلب من الأعمى الذي شفاه أن يؤمن بهذه الحقيقة قائلًا: أتؤمن بابن الله؟ فأجاب الأعمى: من هو لكي أؤمن به؟ فقال له: إنّ الذي يتكلّم معك هو هو. فقال الأعمى: أؤمن وسجد له».

فقد سمعناه قبلك أيضاً من أناستاس، ولوْ صحّ هذا الكلام عن المسيح ـ وأنّى ـ لَما عدا أن يكون جارياً على اصطلاح العهدين من تسمية المؤمن الصالح بابن الله.

[٣١]وأمّا قولك: «إنّ هذا الأعمى ومريم المجدلية ومريم أمّ يعقوب والتلاميذ سجدوا للمسيح ولم يردعهم، مع أنّ السجود لا يحقّ إلّا لله، فكيف يرضى المسيح أن يسجدوا له لو لم يكن إلهاً حقيقة».

فقد سمعناه قبلك أيضاً عن احتجاجات أناستاس، وكنّا نعجب من أنّ الذي ينصّب قسّاً ورئيساً في ديانته كيف يجهل من كتبه كثرة نقلها لسجود الأنبياء للبشر، وسجود البشر للأنبياء، وسجود النبيّ للنبيّ؟!

وإنّ توراتكم لتقول مكرّراً: إنّ إبراهيم خليل الله قد سجد لشعب الأرض لبني حِث[١٢٢] وقد كان هؤلاء مشركين!

وإنّ يعقوب عند ملاقاته لعيسو سجد إلى الأرض سبع مرّات، وسجد أيضاً نساؤه وأولاده[١٢٣] ولسانها ينادي بأنّ هذا السجود كان تحيّة وتملّقاً لعيسو لئلّا يبطش بهم، إذ كان يعقوب خائفاً منه!

---

(١٢٢) تك ٢٣:٧ و ١٢.

(١٢٣) تك ٣٣: ٣ ـ ٧.

وإنّ إخوة يوسف سجدوا له[١٢٤].

وسجد يوسف أمام وجه أبيه[١٢٥].

وموسى خرج لاستقبال حميه وسجد وقبّله[١٢٦] وفي الأصل العبراني: «ويشتحو ويشق لو».

وسجد داود ثلاث مرّات لَمّا ودّع يوناثان ابن شاول[١٢٧].

وسجد لشاول[١٢٨].

وسجدت له ابيجايل[١٢٩].

وسجدت له بتشبع[١٣٠].

وسجد ناثان النبي لداود النبي[١٣١].

وسجد سليمان النبي لأُمّه[١٣٢].

فإن قلتَ: إنّ هؤلاء كلّهم قد أخطأوا وعصوا في السجود لغير الله!

قلنا: إنّ الاحتجاج الذي تنقله أناجيلكم عن المسيح ليخرسك عن هذه الجرأة. أوَلم تجد أنّ أناجيلكم تذكر أنّ المسيح لَمّا اعترض عليه

---

(١٢٤) تك ٤٢:٦، و٤٣:٢٦ و٢٨.

(١٢٥) تك ٤٨:١٢.

(١٢٦) خر ١٨:٧.

(١٢٧) ١ صم ٢٠: ٤١

(١٢٨) ١ صم ٢٤:٨.

(١٢٩) ١ صم ٢٥:٢٣.

(١٣٠) ١مل١:١٦.

(١٣١) ١مل١: ٢٣

(١٣٢) ١مل٢:١٩.

اليهود بأكل تلاميذه من الزرع يوم السبت، احتجّ عليهم بأكل داود من خبز التقدمة الذي لايحلّ إلاّ للكهنة[١٣٣] فلو لم يكن داود معصوماً في فعله، بل لا يجوز أن يفعل الحرام، لَما صحّ من المسيح هذا الاحتجاج.

وإنّ سجود داود لشاول، وسجود ابيجايل وبثشبع وناثان النبي لداود كان بعد أكله من خبز التقدمة الذي احتجّ المسيح به.

فإن قلت: إنّ داود وهؤلاء الساجدين لغير الله كلّهم قد أخطأوا وعصوا بسجودهم هذا، وإنّ هذا الاحتجاج المنقول عن المسيح إنّما هو دخيل في الأناجيل، قد زاده عبث الأيام.

قلنا: مرحباً، فما العلامة القاطعة على أنّ حكاية سجود التلاميذ للمسيح، وكـذا توما والأعمى والَمرْيَمَيْن قد كانت من شقّ فم الوحي، وفلذة من كبد الإنجيل الحقيقي، لم يلدها العبث في حجر الضلال كحكاية الاحتجاج بفعل داود؟!

وما الحجّة القاطعة على أنّ المسيح مالأهم على السجود له ؟! أوَلسنا نرى أنّ أناجيلكم قد أهمل كلّ واحد منها كثيراً مِمّا يذكر الآخر، وإن اتّفقت على مادّة حكايةٍ أوردها كلّ واحد بصورة غريبة[١٣٤]؟!

وما الحجّة القاطعة على أنّ سكوت المسيح ـ عند السجود له ـ لم يكن على نهج سكوت داود كيفما تقول فيه؟!

فإن زعمت أنّ الفارقَ ألوهيّةُ المسيح.

قلنا: هذه هي الدعوى الداهية التي ورّطك بها الهوى في مزالق

---

(١٣٣) مت ١٢: ٢.

(١٣٤) تعرف بعض ذلك من الجزء الأول من كتاب «الهدى» صحيفة ٢٠٥ ـ ٢٢٧.

الأوهام!

[٣٢]وأمّا تشبّثك بما يذكره إنجيلكم من «قول توما للمسيح: ربّي وإلٰهي، وأنّ المسيح ارتضى إيمانه».

فإنّك تعرف وهنه من نفس إنجيل يوحنّا ـ الذي ذكره ـ وغيره من الأناجيل، فإنّه ذكر أنّ لفظ الربّ تفسيره المعلم(١٣٥).

وذكر أنّ المسيح قال للتلاميذ: اصعدوا إلى أبي وأبيكم وإلٰهي وإلٰهكم(١٣٦). فبيّن بهذا الكلام أنّ إلٰه التلاميذ هو إلٰه المسيح.

ولئن كان إلٰه التلاميذ ـ ومنهم توما ـ هو إلٰه المسيح، فكيف يكون المسيح إلٰه توما؟!

إذن فمن هو إلٰه المسيح وتوما والتلاميذ؟!

فبأيّ العبارتين ينبغي أن يُكذَّب هذا الإنجيل؟! مع أنّه نفسه، وباقي الأناجيل، قد تكرّر فيها الصراحة والمجاهرة بأنّ الله إلٰه المسيح، وأنّ المسيح يتضرّع إليه، ويطلب منه، ويستغيث به ويناديه : «يا إلٰهي» و«إلٰهي إلٰهي، لماذا تركتني؟!» ويعترف بأنّه الإلٰه الحقيقي، ويسوع هو المسيح الذي أرسله(١٣٧).

وإنّك ـ وأنت نصرانيّ ـ يلزمك أن تعتقد بأنّ إنجيل يوحنّا يوجد فيه ما تكذّبه الأناجيل الثلاثة، فإنّه يقول: إنّ التلاميذ ـ وخصوص بطرس ويوحنّا ـ في يوم قيام المسيح من الموت لم يكونوا يعرفون الكتاب

---

(١٣٥) يو ١: ٣٨.

(١٣٦) يو ١٧:٢٠.

(١٣٧) يو ٣:١٧.

أنّه ينبغي أن يقوم من الأموات[١٣٨] مع أنّه تكرّر في الأناجيل أكثر من عشر مرّات أنّ المسيح صرّح لتلاميذه بأنّه يقتل، وفي اليوم الثالث يقوم من الموت، حتى أنّ بطرس صار ينتهره عند هذا القول[١٣٩] وحتى أنّ اليهود كانوا يعلمون ذلك من قوله[١٤٠].

فإن قلتَ: قد سمعوا ذلك منه، ولكنّهم لم يؤمنوا به، لأنّهم لم يعرفوه من الكتب.

قلنا: فعلى هذا لم يكونوا آمنوا بنبوّة المسيح وصدقه بأخباره، فكيف يقول الإنجيل بأنّهم يقولون بألوهيّته؟!

[٣٣]وأمّا قولك: «وإنْ لم ينجع بك العيان، وشئت أن تستأنس بالبرهان، فدونك الحجّة البيّنة، واعتبر بأنّ قيام المسيح من الأموات أوضح دليل على ألوهيّته، فإنّ الأنبياء مهما كانوا عظماء لم يقدروا أن يقوموا بعد موتهم، وإن أقاموا غيرهم من الموت، ولكنّ المسيح ـ له المجد ـ لّما كان إلهاً قَدِرَ بقوّته الإلهيّة أن يقوم من الأموات، ويعود إلى الحياة، ويصعد إلى السماء حيّاً ممجّداً إلى يومنا هذا».

فقد سبقك فيه أناستاس ـ على ما حكي عنه ـ وجعله أعظم براهينهم على ألوهيّة المسيح، فكان من جملة البراهين ـ إن صحّ النقل عنه ـ على أنّ الرهبان والقسوس قد نصبوا أنفسهم لرئاسة الدين، وليس لهم خبرة بكتب دينهم، فصاروا يخبطون في الإلهيّات حسب ما تترامى بهم

---

(١٣٨) يو ٢٠:٩.

(١٣٩) مت ١٦: ٢١ و٢٢.

(١٤٠) مت ٢٧:٦٣.

العشواء.

عافاك الله وهداك، مَن قال لك: إنّ الأنبياء أقاموا غيرهم من الموت بقدرتهم؟! أفلم تسمع من إنجيلك أنّ المسيح ـ الذي تغالي به ـ لَمّا أراد حياة أليعازر، كيف انقطع إلى الله، ورفع رأسه إلى السماء وقال: أيّها الأب، أشكرك لأنّك سمعت لي، وأنا أعلم أنّك في كلّ حين تسمع لي، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنّك أرسلتني[141] فتوسّل إلى الله أن يحيي أليعازر على يده ليدلّ بإعجازه على رسالته.

وإن اغتررت بقوله: «أيّها الأب» فإنّا نذكّرك بقوله: «أبي وأبيكم، وإلهي وإلـهكم».

عافاك الله، ومَن قال لك: إنّ المسيح قدِر بقوته الإلـهيّة أن يقوم بنفسه من الأموات؟! أفلم تقرأ في عمرك كلّه كتبكم لكي ترى المجاهرة فيها من رسلكم، في أكثر من عشرين مورداً، بأنّ الله أقامه من الأموات؟! فانظر إلى الباب الثاني والثالث والرابع والعاشر والثالث عشر والسابع عشر من الأعمال، والرابع والثامن من رومية، والسادس والخامس من كورنتـوش الأُولى، والـرابع من الثانية، والأول من غلاطية و افسس وتسالونيكي وبطرس الأوليين، والثاني من كولوسي، والثالث عشر من العبرانيّين، فلماذا ـ عافاك الله ـ تهزأ بنفسك؟!

[٣٤]وأمّـا قولك: «بل إذا نظرت إلى ولادته المقدّسة من روح القـدس لم تشـكّ بألوهيّته، حيث لم يشارك البشر في التولّد من فحل

---

(١٤١) يو ١١: ٤١ و٤٢.

بشريّ، وهذه حجّة ما فوقها حجّة، وآية ما بعدها آية».

فنقول فيه: إنّ الاحتجاج على ألوهيّة المسيح بولادته المقدّسة إنّما هو من غرائب الأوهام.

أمّا أوّلاً: فإنّ مَن عرّفنا الإله ووجوبَ وجوده وأزليّتَه وكمالَه ليسفّه القول بألوهيّة من حَدَثَ بالولادة كيف ما كانت، كيف لا؟! وهي دليل النقص والحدوث والإمكان!

وأمّا ثانياً: فإنّ آدم المتكوّن بلا ولادة أوْلى بهذا الوصف من المسيح، لو كان معقولاً!

وأمّا ثالثاً: فإنّ هذه الولادة قد تنازع فيها الإمكان والعادة، ولم يسمح لنا التثبّت في الحقائق أن نعتمد على مجرّد الإمكان، ولم يترجّح عندنا جانب الإمكان بدعاوى أمثالك أو أقوال كتبك التي هي بنفسها لم تدع مساغاً للركون إليها، بل اعتمدنا في هذه الحقيقة على الوحي الصادق، وهو أشدّ المقاومين لدعوى ألوهيّة المسيح والمكفّر لمدّعيها، فكأنّك سمعت بأنّا نعترف بقدس ولادة المسيح فحسبت أنّا اعتمدنا فيها على مجامعكم، أومنّتك أوهامُك بأن تخادعنا فلم تخدع إلّا نفسك!

[٣٥]وأمّا قولك: «وإذا اقتفيت هدى الإنجيل فلابُدّ أن يسفر لك صبح اليقين بهذه الحقيقة».

فأقول فيه: هداك الله، أيّ إنجيل تدعوني إليه؟! فإنّها أربعة متنافية متعارضة متهافتة، لم يراعِ كاتبُ أحدها كاتبَ الآخر.. أفأقضي عمري بهضم الأعداد حقائقها، وتثليث الواحد، وتوحيد الثلاثة والأربعة؟!

وإنّا لو أسلمنا الهدى ـ والعياذ بالله ـ إلى كتبكم لبهظتنا بما يعود منها إلى التعرّض لقدس المسيح، وتناقض تعاليمه، ووهن حججه، وعدم صدور الآية منه، وانحصار دعواه بالرسالة إلى بني إسرائيل[١٤٢].

[٣٦]*وأمّا قولك: «وكرم عنصره المتسلسل من أنبياء مطهّرين إلى ملوك مؤمنين»* .

فكم لك فيه ـ هداك الله ـ من غفلة لا تليق بعوامّ الناس :

أمّا أوّلاً: فأيّ ملازمة بين كرم العنصر وبين الألوهيّة وبين النبوّة؟!

أجل، فلماذا لم تقولوا بأبي مريم وجدّها ما قلتموه بالمسيح؟!

وأمّا ثانياً : فهل عددت من الملوك المؤمنين رحبعام بن سليمان؟! الذي ترك شريعة الربّ هو وكلّ إسرائيل معه، وأرخى العنان ليهودا، حتى بنوا لأنفسهم من شعائر الشرك وعبادة الأوثان مرتفعات وأنصاباً وسواري على كلّ تلّ مرتفع وتحت كلّ شجرة خضراء. وكان أيضاً مأبونون في الأرض، فعملوا حسب أرجاس المشركين.

أم من الملوك المؤمنين ابيا ابن رحبعام؟! الذي سار في جميع خطايا أبيه!

أم منهم يهورام وابنه اخزيا؟! اللذان عملا الشرّ على ضلالة بيت اخاب!

أم منهم يواش ؟! الذي سمح ليهوذا بعبادة السواري والأصنام وترك بيت الربّ إلههم!

---

(١٤٢) تعرف مواقع ذلك في الأناجيل من الجزء الأول من كتاب «الهدى» صحيفة ١٨٥ـ٢٣٥.

أم امصيا؟! الذي أتى بآلهة ساعير وأقامها له آلهة، وسجد أمامها، وأوقد لها!

أم احاز؟! الذي عمل تماثيل للبعليم، وذبح لآلهة دمشق، وأغلق أبواب بيت الربّ وأبواب الرواق حتى احتاج حزقيا في تطهيره إلى عمل ثمانية أيام.

أم من الملوك المؤمنين منسى؟! الذي بنى المرتفعات، وأقام مذابح للبعليم، وسجد لكلّ جند السماء، وبنى لها مذابح في داريَ بيت الربّ، ولٰكنّه لمّا ذاق وَبال أمره من ملوك آشور رجع إلى الله!

أم منهم ابنه امنون؟! الذي عمل كلّ ما عمله أبوه من الشرك ولم يرجع إلى الله!

أم منهم يهواحـاز، ويهوياقيم، ويهوياكين، وصدقيا؟! الّذين عملوا الشرّ، وذكر أرميا في أيّامهم أنّ يهوذا سلكوا وراء البعليم وآلهة أُخرى حتى صارت آلهتُهم بعدد مدنهم، وبعدد شوارع أُرشليم!!

أفلم تطّلع ـ هداك الله ـ على هذا كلّه من كتبكم حتى قلتَ ما قلتَ؟! إذن فراجع المقدّمة الخامسة من كتاب «الهدى» صحيفة ٢١ ـ ٢٨ تدلّك على مواضع ذلك من كتبكم.

وهـذا وإن كان لا يضرّ في قدس المسيح ولٰكنّه يشينك بوصمة الجهل أو التجاهل والتدليس.

[٣٧]وأمّا قولك: «وطهارة مواليده».

فإنّي أشكرك فيه على الإذعان بهذه الحقيقة اللازمة في الأنبياء الّذين لا ينبغي أن يكون فيهم نقص ينفّر عن الانقياد إليهم؛ ولٰكنّي

أشكـو إليك كتبـك التي كأنّ لها غرضاً في مباهظة هذه الحقيقة، حتى استهدفتها بالتعريض مرّة وبالتصريح أُخرى، ولا أدري هل غفلتَ عن ذلك، أو عرفتَ كذب كتبك فيه؟!

وأبدأ إليك ـ وإلى كلّ محبّ للمسيح ـ بالشكوى من إنجيل متّى، فإنّـه لّما ذكر نسب المسيح خالس في الشتم والوقيعة مخالسة الأعداء، فأشار إلى مواقع الغميزة والثلب التي لفّقهاالضُلّال، فإنّه لم يذكر ـ في طرد النسب من الأُمّهات ـ إلاّ من كان لكتبكم فيها كلام، فنصّ على ذكر ثامار، وراحاب، وراعوث، وامرأة اوريا[١٤٣].

أفـتراه لا يريد بذلك أن يشير إلى ما في الثامن والثلاثين من التكوين؟! وما في أول الثاني من يشوع؟! وما في ثالث راعوث؟! وما في الحادي عشر من صموئيل الثاني؟!

ثم أُثنّي بالشكوى من كتب العهد القديم، فإنّها لم تدع منقصة وخسّة تكون في العائلة إلاّ ووصمت به عائلات الأنبياء، في هذه السلسلة الطاهرة وأطرافها.. فانظر إلى ماتحكيه عن لوط وابنتيه[١٤٤] وعن روابين ابن يعقوب[١٤٥] وعن يهوذا وكنّته ثامار، و ولادة فارص [١٤٦] وعن داود[١٤٧] وعن امنون بن داود وثامار أُخته ويوناداب ابن عمّها، وسكوت داود عن

---

(١٤٣) مت ١: ٣ ـ ٧.

(١٤٤) تك ١٩.

(١٤٥) تك ٣٥:٢٢.

(١٤٦) تك ٣٨:١٣.

(١٤٧) ٢ صم ١١.

مثـل هذه الواقعة، مضافاً إلى ما زادته الترجمة السبعينية في شأن داود فيها[148] وعن ابشالوم بن داود مع سراري أبيه[149] وعن ادونيا بن داود في أنّه طلب من سليمان ابيشج الشونمية زوجة أبيه لتكون له امرأة[150].

فهل كان للإلهام والوحي سابقة عداوة مع هذه السلسلة الطاهرة؟! أفلا تراه كيف جعل بيت داود؟!

هداك الله، ولـو لم يكن في كتبكم إلّا مثل هذه الدواهي لكفى صارفاً عنها؟! فكيف بها وهي تورد عليك كل آونة ـ إذا سبرتها ـ داهية أعظم من أُختها؟!

فخذ حظّك ـ هداك الله ـ من رشدك، واتّق الله في نفسك، وجاهد في سبيل الله حقّ جهاده، ولا تأخذك فيه لومة لائم أو ميل هوى أو سابقة أُلفة.

ولا أبهظ هواك في أول الأمـر بالـدعوة إلى دين خاصّ سوى التـوحيد، فإنّ أنـوار الحقيقـة لا تخفى على كلّ عين أُميط عنها قذى العصبية وغبار الهوى.

ولئن عرفتُ منك أنّ جوابي هذا لم يبهظ هواك، ولم يصدّك اللجاج عن النظر فيه، وراجعتني فيه بالقبول أو المناظرة، فسوف أُهدي لحضرتك ـ إن شاء الله ـ رسالة في تعريفك دين الحقّ وسبيل الهدى ووسيلة النجاة، والله الهادي الموفّق.

---

(١٤٨) ٢ صم ١٣.

(١٤٩) ١٦: ٢١ و٢٢ مع ١٢: ١١.

(١٥٠) ١ مل ٢.

ولئن لم تعرّفني أيضاً نفسَك لحكمة تؤثرها، فسأجلوها لحضرتك - إن شاء الله - على نحو هذه الرسالة، وبالله التوفيق.

[٣٨]وأمّا مخادعتك بقولك: «فتستريح إلى النواميس الروحية عن المتاعب البدنية التي هي للفناء».

فقد سمعنا ذلك قبلك من رابع غلاطيه، وثاني كولوسي، وغيرهما؛ وإنّ بعض الفسّاق المتمرّدين من برابرة المسلمين قد قال عند الاعتراض عليه في فسوقه: «صلاة ملاة يوخدر، أصل قلبك نظيف»[١٥١].

عافاك الله، أين النواميس الروحية التي استراح المدّعون إليها؟! أفلسنا في العالم؟! فإنّ أهل الأمثال يقولون: «إنّ الرمح لايخبأ في العِدْل»[١٥٢] ولا أرتني الأيام أنّي أستريح من حيث تعب الكرام وجهد الأنبياء والصالحون!

أفلا تعلم - هداك الله - أنّ العبادات البدنية وسيلة لتمرين النفس على التوجّه إلى الله، ومظهر للخضوع بحضرته، والانقياد إلى طاعته، وإحكام للرابطة بين العبد ومولاه، ورصد للنفس عن التمرّد عليه، وحصن لها عن تسلّط الشيطان على حوزتها وطمعه في غوايتها.. هذا مع ما فيها من فضيلة المناجاة مع المولى، وشرف المثول بحضرته، ووسيلة القرب منه، وغبطة الاستنزال لرحمته.

وإنّ أناجيلكم - مع تقصيرها في بيان عبادة المسيح وبرّه - قد

---

(١٥١) هذا تعبير كان شائعاً بين فسّاق المسلمين في العهد العثماني (التركي) ومعناه: ليس هناك صلاة، فالدين يريد أن يكون قلب الإنسان نظيفاً .. أو ما هذا معناه. (م).

(١٥٢) مثل عاميّ عراقيّ. (م).

ذكرت أنّه اعتمد من يوحنّا بمعمودية التوراة ليكمّل كلّ برّ[١٥٣] وصار مع الوحوش في البرّيّة أربعين يوماً ليجرَّب من إبليس[١٥٤] وكان يصعد الجبل ليصلّي منفرداً، يقضي بذلك أكثر النهار وأكثر الليل[١٥٥] ويقصد لصلاته المواضع الخالية[١٥٦] والانفراد[١٥٧].

ألم يذكر إنجيلكم أنّ المسيح ضرب مثلًا في أنّه ينبغي أن يصلّي كلّ حين ولا يملّ[١٥٨] وأعلمَ التلاميذَ بأنّ المراتب العالية لاتنال إلّا بالصوم والصلاة[١٥٩].

أفآل تعس الوقت إلى الترغيب بالاستراحة من العبادة؟!

عافاك الله، لا تليق هذه المغالطة إلّا من الطبيعيّين، وإن أردتَ أن تعرف موقع الصلاة في كتبكم فاستدلّ بما ذكره «مغني الطلّاب»[١٦٠] في عنوانها وأوضاعها وفضلها ومن هم الّذين ينكرونها.

[٣٩]وبذلك تعرف غفلتك في قولك: «ولا أقلّ من أن تسلَم في سنتك من جوع شهر وعطشه في حرّ الهجير في البلاد الحارّة».

أفلم تقرأ من كتبكم نقلها أنّ موسى صام مرّتين، كلّ مرّة أربعين

---

(١٥٣) مت ٣.

(١٥٤) مت ٤، ومر ١ ، ولو ٤.

(١٥٥) مت ١٤: ٢٣ ـ ٢٥، ومر ٦:٤٦ ـ ٤٨.

(١٥٦) مر ١:٣٥.

(١٥٧) لو ٩:١٨.

(١٥٨) لو ١٨:١ ـ ٨.

(١٥٩) مت ١٧: ٢١، ومر ٩:٢٩.

(١٦٠) (م).

نهاراً وأربعين ليلة، لم يأكل خبزاً ولم يشرب ماءً؟![١٦١] والمسيح صام أربعين يوماً وقال لإبليس : ليس بالخبز يحيا الإنسان، بل بكلّ كلمة تخرج من فم الله[١٦٢]؟!

أفلم تسمع من كتبك عن قول المسيح أنّ بعض المراتب العالية لا تنال إلّا بالصوم والصلاة؟!

ألم تنظر إلى فضل الصوم وحكمته وفوائده في كتبكم؟!

فإن كنت في غفلة عن ذلك فاستدلّ عليه بمغني الطلّاب.

[٤٠]وأمّا ترغيبك لي «بنجاة أولادي من ألم الختان وشوهته».

فتلك مخادعة سبقت من كتبكم، إذ تذكر أنّ الرسل ارتأوا في أمر الختان، فرأوه عثرة في سبيل انقياد الأُمم إلى رئاستهم، ووجدوا أنّ إبطاله مصيدة للأُمم! حتى بدا ذلك على فلتات الخامس عشر من الأعمال، إذ ينقل عن يعقوب ما حاصله استحسان التخفيف عن الأُمم بإبطال شريعة الختان ترويجاً لأمر المسيح، لأنّ موسى له من يكرز به في كلّ سبت؛ وإنّ البصير ليعرف من مخايل الكلام أنّ الغرض ترويج أسباب الرئاسة.

عافاك الله، هب أنّي مِمّن يعتمد على كتبكم، فهل يسوغ لي أن أعتمد على هذا الرأي الاستحساني وأترك ما تذكره التوراة من تأكيد الله على إبراهيم في أمر الختان، وأنّه علامة العهد بين الله والمؤمنين؟![١٦٣]

---

(١٦١) تث ٩:٩ و١٨.

(١٦٢) مت ٤:٢ ـ ٥.

(١٦٣) تك ١٧:٩ ـ ١٥.

أم أترك شريعة التوراة به[١٦٤] وصراحتها بكونه شرطاً في عمل الفصح؟![١٦٥] أم شهادة بولص بأنّ إبراهيم أخذ علامة الختان ختماً لبِرّ الإيمان الذي كان في الغرْلة؟![١٦٦].

[٤١]وأمّا زعمك «أنّ السبب في شريعة الختان لإبراهيم، هو علم الله بأنّ ذرّيّته سيدخلون مصر، فأراد الله أن يشوّههم لتنفر عنهم الزواني المصريّات فلا يؤاتينهم على الزنا».

فقد سمعنا غلطه من رسالة المدعوّ بعبد المسيح، وما كنّا نحسب أنّ أحداً غيره يقدم على ترويج العوائد الوثنية، وإبطال الشريعة بتكذيب التوراة، وتخطئة الأنبياء وتغليطهم في تبليغ شريعة الختان والعمل عليها، مِن موسى في تبليغ شريعته وجعله شرطاً في الفصح بعد الخروج من مصر، ثم يوشع في ختانه لجميع بني إسرائيل بعد عبورهم الأردن، ثم الأنبياء إلى ما بعد ميلاد المسيح بنحو خمسين سنة.

عافاك الله، فلماذا تقتفي أثر أوهام المدعوّ بعبد المسيح؟! وأقلّ ما فيها أنّك أنت اهتديت إلى العلّة في أمر الختان، وجميع الأنبياء ـ مِن موسى والّذين بعده ـ ضلّوا عنها! حتى رسلكم إذ تشبّثوا لإبطاله بالاستحسان الملفّق، ولم يعتمدوا عليها، وأنّ بولسكم كاذب في شهادته بالعلّة كما ذكرناه.

[٤٢]وأمّا قولك: «وتسلم من طيش بعض الأفعال إذا حظيت

---

(١٦٤) لا ١٤:١٣.

(١٦٥) خر ١٢:٤٣ ـ ٤٩.

(١٦٦) رو ٤:١١.

بشرف الثروة، وأُبهة الرفعة، ولا تستضرّ بمالك وراحتك ووقارك».

فإنّك تعرّض فيه بالحجّ إلى بيت الله الحرام، وقد أوضحتَ بنفسك عن وجه الحكمة الإلٰهية في شرعيّته، حيث كشفت عن جبروت أمثال نفسك وانخداعها واغترارها بالثروة، التي عادت الشريف الفاضل، وواصلت الدَّنيّ الخامل.

كم أعارتْ محاسن الدهر قوماً ملأوا عَيْبة الزمانِ عُيوبا[١٦٧]

عافاك الله، كم شاهدنا مغروراً بالثروة، متجبّراً بالغنى الموقَّت، قد ألقته الحاجة إلى مهانة السؤال بالكفّ!

أفبهذه الأوهام يتكبّر الإنسان على عبادة الله وتأديبات شريعته لعباده؟!

أفلا ينبغي لك أن تتواضع لمن أنعم عليك بالثروة، وتعظّم شعائره، وتتّبع شريعته؟! فإنّه لقادرٌ على سلبها منك في طرفة عين.

وقد صدّقت إنجيلك في قوله: «لا يقدر أحد أن يخدم سيّدين، لأنّه إمّا يبغض أحدهما ويحبّ الآخر، أو يلازم أحدهما ويحتقر الآخر، لاتقدرون أن تخدموا الله والمال»[١٦٨].

وقوله: «يعسر أن يدخل غنيّ إلى ملكوت السماوات: إنّ مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنيّ إلى ملكوت الله»[١٦٩].

هداك الله، وماذا تنكر من شريعة الحجّ؟! فهل تنكر أنّ المتمكّن

---

(١٦٧) (م).

(١٦٨) مت ٦:٢٤، ولو ١٦:١٣.

(١٦٩) مت ١٩:٢٣ و٢٤، ومر ١٠: ٢٤ و٢٥.

القادر يجب عليه السفر إلى بيت الله لأجل عبادة الله وتعظيم شعائره مرّة في عمره، وإن تطوّع بعد ذلك فهو خير يستفيده؟!

وهذه توراتكم قد أوجبت على كلّ ذكور بني إسرائيل أن يقصدوا في أعيادهم في كلّ سنة ثلاث مرّات إلى المحلّ الذي يختاره الربّ[١٧٠] ويحملوا معهم عشورهم وأبكار غنمهم وبقرهم[١٧١] فكانوا يقصدون حسب هذه الشريعة إلى خيمة الاجتماع موقّتاً، ثم إلى البيت الذي بناه سليمان.

كما تذكر كتبكم أنّ سليمان بنى أيضاً بحذاء هذا البيت مرتفعات لتعظيم شعائر الأوثان، آلهة الصيدونيّين والموابيّين والعمونيّين[١٧٢].

وإنّ البيت الذي نحجّ إليه بناه إبراهيم خليل الله وإسماعيل مبارَك الله، وهما اللذان لم تقرفهما كتبكم بما قرفت به سليمان!

ولابُدّ لمن يقصد الهيكل من أقاصي أرض إسرائيل أن يقطع مسافة تقارب المائة وخمسين ميلاً، واستمرّ اليهود على هذه الشريعة، حتى أنّ المسيح كان يقصده ويصعد إليه في الأعياد، حتى من الجليل من مسافة ستّين ميلاً فما فوق.

أم هل تنكر الإحرام ومناسك الحجّ؟! التي أقلّ حكمها وفوائدها الحميدة حبس النفس عن أهوائها وجبروتها ببطر الترف وأوهام الشرف، وإرغام طغيانها بخرافة الثروة، وكسر عادية غرورها الذي هو مفتاح

---

(١٧٠) تث ١٦:١٦.

(١٧١) تث ١٤:٢٢ ـ ٢٧.

(١٧٢) ١ مل ١١:٧، و ٢ مل ٢٣:١٣.

الشرّ والفساد، فيتجرّد العبد بذلك إلى محاربة الهوى والشيطان، ويتخلّى من مصائدها لأجل التوجّه إلى مولاه بالرغبة والرهبة، وينبّه نفسه الأمّارة إلى أنّه عبد مخلوق، ضعيف حقير، لا يملك من أمره شيئاً، فيطهّرها من قاذورات الأمانيّ بشرف الثروة وأُبّهة الرفعة، وينزّهها من خسّة التكبّر بهذه الأوهام الفاسدة والخيالات الزائلة.

عافاك الله، إنّ العليم الحكيم لَيَعْلم أنّ الإنسان لا تنقاد روحه إلى النواميس الصالحة إلّا إذا أدّبته الشريعة الإلهية برياضة نواميسها، وقادته بزمامها؛ أفليس من هذا النحو ما تذكره أناجيلكم من أنّ المسيح صار في البرّيّة مع الوحوش أربعين يوماً ليجرّب من إبليس، ومع هذه الرياضة لم ينقطع طمع إبليس في إغوائه بالشرك[١٧٣].

أفلم تسمع من كتبك أمرها بالخضوع والتواضع لله؟![١٧٤] وأنّ المطلوب من العبد أن يسلك متواضعاً مع إلهه[١٧٥].

عافاك الله، فهل رأيتَ أو سمعتَ أنّ المسلمين يطفرون ويرقصون في حجّهم كما يذكره كتابكم عن فعل داود أمام التابوت؟![١٧٦]

أم هل وجدت في شريعة جامعة المسلمين لحجّهم وعباداتهم كما تأمر به مزاميركم، إذ تقول: «ليسبّحوا اسمه برقص»[١٧٧] «سبّحوه بدف

---

(١٧٣) أنظر: مت ٤، ولو ٤.

(١٧٤) ١ بط ٥:٥، ويع ٤:٧.

(١٧٥) مي ٦:٨.

(١٧٦) ٢ صم ٦:١٩ ـ ٢٣.

(١٧٧) مز ١٤٩:٣.

ورقص »؟![178].

ولو أنّك ـ على نصرانيّتك ـ شهدت تلك المواقف الشريفة وقد فزع فيها النسّاك إلى الله مولاهم، وهم على حالة واحدة، وزيّ واحد، في الخشوع والخضوع، لا يتميّز في ذلك فقيرهم من المتجبّر المزدهي بشرف الثروة وأُبّهة الرفعة، و اطّلعت على تلك الهيئات الجميلة، لداخلك من الخشوع واستحسان ذلك النسك ما لا تحتسبه، ولقلت: أين هذه العبادة والخضوع من الصلاة بالترنيمات الموسيقية!

هداك الله، وإنّ رابطة المراسلة قد أيقظت بيننا العواطف البشرية، والعلاقة الجنسية[179]، ونبّهتها إلى المطالبة بحقوقها، وحكم الله لها بوجوب المعاونة على البرّ والتقوى وعرفان الحقّ؛ فلتزل مِمّا بيننا معثرة التعصّب، ونعطِ الحقّ حقّه من النصفة،ونفزع إلى الله في طلب التوفيق والهدى إلى سبيله، فنستنزل رحمته بالانقطاع إليه في الدعاء، والنيّة الصادقة، والإقبال الخالص، ونكون يداً واحدة في محاربة الهوى والشيطان؛ مستعدّين بعدّة المباحثة وأُهبة النظر، وسلاح الإنصاف، وثبات الإخلاص؛ سائلين من الله النصر، فإنّه خير المسؤولين وأرحم الراحمين.

وحباك الله بلطفه، وأسعد حظّك بالهدى إلى سبيله، والتوفيق لحقيقة طاعته ومعرفة دينه.

وإنّي لأرجو منك العود إلى المراسلة، فإنّك لا تذمّ عاقبتها المحمودة إن شاء الله.

---

(178) مز ١٥:٤.

(179) أي جنس البشر. (م).

وإنّـا قد اقتصرنـا في رسالتنا هذه على ما جرى فيه كلامك، واقتصرنا في الجواب على أقلّ الواجب، ومسمّى الإشارة، مؤثرين تعجيل البرّ بالجواب.

وما توفيقي إلاّ بالله، عليه توكّلت وإليه أُنيب.

* * *



﴿فهرست رسالة التوحيد والتثليث﴾

الصفحة

* * *